بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ باللَّهِ من شُرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا ، من يهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أنْ لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب] .

أما بعد فإن أصدق الحديث كلام اللَّه تعالى ، وخير الهدى

هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ، ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . ثم أما بعد هذا الكتاب يعالج قضية فى غاية الخطورة تمس بالدرجة الأولى عقيدة المسلمين ، وتهز بعنف كيان المجتمع كله . وإن كان فيها شيء من الحق ؛ فقد غلب عليه الباطل ولا علاج لهذا الأمر إلا بالرجوع إلى كتاب الله تعالى ، وهدى النبى صلى الله عليه وسلم ، والمداومة على قراءة القرآن والذكر والدعاء ، والتقرب إلى الله بكثرة النوافل ، والصدقات ، وإعالة المحتاجين ، وإغاثة الملهوفين .

من أجل ذلك قمنا بإعداد هذا الكتاب رجاء نفع الناس ، ونسأل الله تعالى أن يتقبله ويجعله خالصاً لوجه الكريم .

وقبل الشروع فى المراد ؛ أتقدم بين يديه بمقدمة عن السحر ومنشئه وحكمه ، وكيف نتقيه . والحسد وكيفية دفعه ، واتقاء شر الحاسد . فأقول بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

- ١ -

السحر

قال اللهِ تبارك وتَعَالَى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وقال تَعَالَى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] .

وقال : ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣] .

وقال : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] .

وقال : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق : ٣] .

وقال : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٩] .

وَالنَّفَّاثَاتُ : السَّوَاحِرُ . تُسْحَرُونَ : تُعَمَّوْنَ (١) .

(١) ذكره الحافظ فى الفتح [الجزء العاشر – كتاب الطب – باب السحر] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : قال الراغب وغيره : السحر يطلق على معان :

أحدها : ما لطف ودقّ ، ومنه : سحرت الصبي : خادعته واستملته ، وكل من استمال شيئا فقد سحره ، ومنه : إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس ، ومنه : قول الأطباء: الطبيعة ساحرة ، ومنه : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر : ١٥] أي : مصروفون عن المعرفة . ومنه : حديث : « إن من البيان لسحرا » (١) .

الثاني : ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها . نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده ، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] وقوله تعالى : ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأعراف : ١١٦] ومن هنا سموا موسى ساحرا ، وقد يستعين في ذلك بما يكون فيه خاصية كالحجر الذي يجذب الحديد المسمى : المغناطيس .

الثالث : ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب

(١) رواه البخارى [٤٨٥١] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما .

إليهم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

الرابع : ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها - بزعمهم - .

قال ابن حزم : ومنه ما يوجد من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب ، وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهي : « سر قسطة » فإنها لا يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته .

وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين كالاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب ؛ فيكون ذلك أقوى - بزعمهم - .

قال أبو بكر الرازي في الأحكام له : « كان أهل بابل قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة ، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم ، وعملوا أوثانا على أسمائها ، ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه - بزعمهم - من أدعية وبخور . وهم الذين بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام

وكانت علومهم : أحكام النجوم . ومع ذلك فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر وينسبونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم انتهى .

ثم السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها ، ويطلق ويراد به فعل الساحر ، والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرّقى والنفث في العقد ، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور ، وتارة بجمع الأمرين الحسي والمعنوي . وهو أبلغ .

واختلف في السحر فقيل : هو تخييل ولا حقيقة له . وهذا اختيار أبي جعفر الأستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة .

قال النووي : « والصحيح أن له حقيقة . وبه قطع الجمهور . وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة انتهى .

لكن محل النزاع : هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا ؟ فمن قال إنه تخييل فقط ؛ منع ذلك ، ومن قال إن له حقيقة . اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من

الأمراض ، أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه ؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول ، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني :

فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية ؛ نسلّم ، وإن كان بالنظر إلى الواقع ، فهو محل الخلاف . فإن كثيرا ممن يدعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه .

ونقل الخطابي : أن قوما أنكروا السحر مطلقا . وكأنه عَنَى القائلين بأنه تخييل فقط ، وإلا فهي مكابرة .

وقال المازري : « جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة ، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة . وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر ، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ، ونظير ذلك : ما يقع من حُذّاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده بالتركيب نافعا ، وقيل : لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في

قوله : ﴿ يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ لكون المقام مقام تهويل ، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك ؛ لذكره » .

قال المازري : « والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك » قال : « والآية ليست نصا في منع الزيادة . ولو قلنا إنها ظاهرة في ذلك » .

ثم قال : « والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة : أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد ، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالبا اتفاقا ، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدّي » .

ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق ، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق .

ونقل النووي في زيادات الروضة عن « المتولي » نحو ذلك .

وينبغي أن يُعْتَبَرَ بحال من يقع الخارق منه . فإن كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة ، وإلا فهو سحر لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين .

وقال القرطبي : « السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ، ومادته : الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته ، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة ، وإيهامات بغير ثبوت ، فيعظم عند من لا يعرف ذلك ، كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون : ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦] مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا » .

ثم قال : « والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرا في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر ، وفي الأبدان بالألم والسقم ، وإنما المنكور : أن الجماد ينقلب حيوانا أو عكسه بسحر الساحر أو نحو ذلك .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] في هذه الآية بيان أصل السحر الذي يعمل به اليهود ، ثم هو مما وضعته الشياطين على سليمان بن داود عليهما السلام ، ومما أُنزل على هاروت

وماروت بأرض بابل ، والثاني : متقدم العهد على الأول لأن قصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح عليه السلام على ما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وكان السحر موجودا في زمن نوح إذ أخبر اللّٰه عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر ، وكان السحر أيضا فاشيا في قوم فرعون وكل ذلك قبل سليمان . واختلف في المراد بالآية فقيل :

إن سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه ، فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي ، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر ؛ جاءهم شيطان في صورة إنسان . فقال لليهود: هل أدلكم على كنز لا نظير له ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفروا تحت الكرسي . فحفروا – وهو متنح عنهم – فوجدوا تلك الكتب فقال لهم : إن سليمان كان يضبط الإنس والجن بهذا .

ففشا فيهم أن سليمان كان ساحرا ، فلما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء ؛ أنكرت اليهود ذلك وقالوا : إنما كان ساحرا ؛ فنزلت هذه الآية .

أخرجه الطبري وغيره عن السدي ، من طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه ، ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس موصولا بمعناه .

وأخرج من طريق الربيع بن أنس نحوه ولكن قال: إن الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه ثم لما مات سليمان استخرجته وقالوا : هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه الناس .

وأخرجه من طريق محمد بن إسحاق وزاد : أنهم نقشوا خاتما على نقش خاتم سليمان وختموا به الكتاب وكتبوا به الكتاب وكتبوا عنوانه : « هذا ما كتب آصف بن برخياء الصّديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم » ثم دفنوه . فذكر نحو ما تقدم .

وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ما تقدم عن السدي ولكن قال : إنهم لما وجدوا الكتب قالوا : هذا مما أنزل اللّٰه على سليمان ؛ فأخفاه منا .

وأخرج بسند صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان ، فكتبت كتبا فيها سحر وكفر ، ثم دفنتها تحت كرسيه ، ثم أخرجوها بعده فقرأوها على الناس » وملخص ما ذكر في تفسير هذه الآية : أن المحكي عنهم أنهم ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ هم أهل الكتاب إذ تقدم قبل ذلك في الآيات إيضاح ذلك ، والجملة معطوفة على مجموع الجمل السابقة من قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ ﴾ [البقرة : ١٠١] إلى آخر الآية و ﴿ مَا ﴾ في قوله ﴿ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ موصولة على الصواب . وغلط من قال إنها نافية ؛ لأن نظم الكلام يأباه ، و ﴿ تَتْلُوا۟ ﴾ لفظه مضارع لكن هو واقع موقع الماضي ، وهو استعمال شائع ، ومعنى ﴿ تَتْلُوا۟ ﴾ تتقوّل ، ولذلك عدّاه بعَلَى ، وقيل معناه : تتبع أو تقرأ ، ويحتاج إلى تقدير . قيل : هو تقرأ على زمان ملك سليمان .

وقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ ما نافية جزما .

وقوله : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ هذه الواو عاطفة لجملة الاستدراك على ما قبلها وقوله : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ ، الناس : مفعول أول ، والسحر : مفعول ثان والجملة حال من فاعل كفروا . أي : كفروا معلمين ، وقيل : هي بدل من كفروا ، وقيل : استئنافية . وهذا على إعادة ضمير : ﴿ يُعَلِّمُونَ ﴾ على : ﴿ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ ويحتمل عوده على الذين : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ﴾ فيكون حالا من فاعل ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ﴾ أو استئنافا .

وقوله : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ ﴾ ﴿ مَا ﴾ موصولة ومحلها النصب عطفا على السحر ، والتقدير يعلمون الناس السحر المنزل على الملكين ، وقيل : الجر عطفا على ملك سليمان ، أي : تقولا على ملك سليمان وعلى ما أنزل قيل : بل هي نافية عطفا على : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ والمعنى : ولم ينزل على الملكين إباحة سحر . وهذان الإعرابان ينبنيان على ما جاء في تفسير الآية عن البعض ، والجمهور على خلافه وأنها موصولة . ورد الزجاج على الأخفش دعواه أنها نافية ، وقال : الذي جاء في الحديث والتفسير أوْلى .

وقوله : ﴿ بِبَابِلَ ﴾ متعلق بما أنزل ، أي : في بابل ، والجمهور على فتح لام الملكين ، وقُرِئ بكسرها ، وهاروت وماروت بدل من الملكين ، وجرا بالفتحة أو عطف بيان ، وقيل : بل هما بدل من الناس - وهو بعيد - وقيل : من الشياطين على أن هاروت وماروت اسمان لقبيلتين من الجن وهو ضعيف .

وقوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ بالتشديد من التعليم ، وقُرِئ في الشاذ بسكون العين من الإعلام بناء على أن التضعيف يتعاقب مع الهمزة ، وذلك أن الملكين لا يُعَلِّمان الناس السحر بل يُعْلِمانهم به وينهيانهم عنه ، والأول أشهر وقد قال عليّ : الملكان يعلمان تعليم إنذار لا تعليم طلب وقد استُدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر ، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها : وهو التعبد للشياطين أو للكواكب ، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلا . قال النووي : « عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عَدَّهُ النبي صلى الله عليه وسلم

من السبع الموبقات (١) ، ومنه ما يكون كفرا . ومنه ما لا يكون كفرا ، بل معصية كبيرة ؛ فإن كان في قول أو فعل يقتضي الكفر ؛ فهو كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ، ولا يُقتل ، فإن تاب ؛ قُبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر ؛ عُزِّرَ .

وعن مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ، ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق .

وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين : إما لتمييز ما فيه كفر من غيره ، وإما لإزالته عمن وقع فيه .

فأما الأول : فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعا ، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان ؛ لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل بخلاف تعاطيه والعمل به .

وأما الثاني : فإن كان لا يتم - كما زعم بعضهم - إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق ؛ فلا يحل أصلا وإلا جاز للمعنى المذكور .

(١) ذكره الحافظ في الفتح [الجزء العاشر - كتاب الطب - باب السحر] .

وقد أورد الإمام البخاري هذه الآية إشارة إلى اختيار الحكم بكفر الساحر ، لقوله فيها : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك ، ولا يكفر بتعلم الشيء إلا وذلك الشيء كفر ، وكذا قوله في الآية على لسان الملكين : ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر . فيكون العمل به كفرا . وهذا كله واضح على ما قررته من العمل ببعض أنواعه .

وقد زعم بعضهم : أن السحر لا يصح إلا بذلك وعلى هذا فتسمية ما عدا ذلك سحرا ؛ مجاز ، كإطلاق السحر على القول البليغ .

وقصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن من حديث ابن عمر في مسند أحمد (١) ، وأطنب الطبري في إيراد طرقها

(١) رواه أحمد في المسند [١٣٤/٢] وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف ، ومتنه باطل .
وقال الشيخ شاكر في تعليقه على المسند : طرقه كلها إما معلولة ، أو واهية . ورد كلام الحافظ ابن حجر .

بحيث يقضي بمجموعها على أن للقصة أصلا خلافا لمن زعم بطلانها كعياض ومن تبعه ، ومحصلها : أن الله رَكَّبَ الشهوة في ملكين من الملائكة اختبارا لهما وأمرهما أن يحكما في الأرض فنزلا على صورة البشر وحكما بالعدل مدة ، ثم افتتنا بامرأة جميلة فعوقبا بسبب ذلك بأن حبسا في بئر ببابل منكسين ، وابتليا بالنطق بعلم السحر ، فصار يقصدهما من يطلب ذلك فلا ينطقان بحضرة أحد حتى يحذراه وينهياه ، فإذا أصر ؛ تكلما بذلك ليتعلم منهما ذلك . وهما قد عرفا ذلك فيتعلم منهما ما قص الله عنهما . والله تعالى أعلم » .

وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] في الآية نفي الفلاح عن الساحر وليس فيها دلالة على كفر الساحر مطلقا ، وإن كثر في القرآن إثبات الفلاح للمؤمن ونفيه عن الكافر ، لكن ليس فيه ما ينفي نفي الفلاح عن الفاسق وكذا العاصي .

وقوله : ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣] هذا يخاطب به كفار قريش يستبعدون كون محمد صلى الله

عليه وسلم رسولا من الله لكونه بشرا من البشر ، فقال قائلهم منكرا على من اتبعه : ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ ﴾ أي أفتتبعونه حتى تصيروا كمن اتبع السحر وهو يعلم أنه سحر ؟!

وقوله : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل . ولا حجة له بها لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون وكان سحرهم كذلك ، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل .

قال أبو بكر الرازي في « الأحكام » : « أخبر الله تعالى أن الذي ظنه موسى من أنها تسعى ؛ لم يكن سعيا ، وإنما كان تخييلا .

وذلك أن عصيهم كانت مجوفة قد ملئت زئبقا ، وكذلك الحبال كانت من أدم محشوة زئبقا ، وقد حفروا قبل ذلك أسرابا وجعلوا لها آزاجا وملؤوها نارا ؛ فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزئبق حركها ؛ لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير ، فلما أثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته ، فظن من رآها أنها تسعى ، ولم تكن تسعى حقيقة .

قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق : ٤]

والنفاثات : السواحر . وهو تفسير الحسن البصري وأخرجه الطبري بسند صحيح ، وذكره أبو عبيدة أيضا في « المجاز » قال : النفاثات : السواحر ينفثن . وأخرج الطبري أيضا عن جماعة من الصحابة وغيرهم أنه : النفث في الرقية .

وقد وقع في حديث ابن عباس فى ما أخرجه البيهقي في « الدلائل » بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم أنهم وجدوا وترا فيه إحدى عشرة عقدة ، وأنزلت سورة : ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾ و : ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ وجعل كلما قرأ آية ؛ انحلت عقدة . وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس : « أن عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة » فذكر نحوه .

قوله : ﴿ تُسْحَرُونَ ﴾ تُعَمَّون بضم أوله وفتح المهملة وتشديد الميم المفتوحة ، وضبط أيضا بسكون العين .

قال أبو عبيدة في كتاب : « المجاز » في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٩] أي : كيف تعمون عن هذا وتصدون عنه ، قال : ونراه من قوله : ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ عنه فلم نبصره .

وأخرج في قوله : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ أي : تخدعون أو تصرفون عن التوحيد والطاعة .

قلت – والقائل الحافظ ابن حجر – : وفي هذه الآية إشارة إلى الصنف الأول من السحر الذي قدمته .

وقال ابن عطية : السحر هنا مستعار لما وقع منهم من التخليط ووضع الشيء في غير موضعه كما يقع من المسحور . والله تعالى أعلم .

حديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم

فى الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له : لبيد بن الأعصم . قالت : حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله . حتى إذا كان ذات يوم

أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم دعا . ثم دعا . ثم قال : « يا عائشة ! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه . جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي . فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : في أى شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة . قال : وجب طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذي أروان » .

قالت : فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أُناس من أصحابه . ثم قال : « يا عائشة ! والله ! لكأن ماءها نقاعة الحناء . ولكأن نخلها رؤوس الشياطين » .

قالت فقلت : يا رسول الله ! أفلا أحرقته ؟ قال : « لا . أما أنا فقد عافاني الله . وكرهت أن أثير على الناس شرا . فأمرت بها فدفنت » (١) .

قال الإمام النووي : « قال الإمام المازري رحمه الله :

(١) أخرجه مسلم [٤٣/٢١٨٩] عن عائشة رضى الله تعالى عنه .

مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته . وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها . وقد ذكره اللّه تعالى في كتابه . وذكر أنه مما يُتعلَّم ، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له .

وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته ، وأنه أشياء دفنت وأخرجت . وهذا كله يبطل ما قالوه . فإحالة كونه من الحقائق ؛ محال . ولا يستنكر في العقل أن اللّه سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين القوى ، على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر » .

قال : « وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر . فزعم أنه يحط من منصب النبوة ، ويشكك فيها ، وأن تجويزه يمنع الثقة بالمشرِّع . وهذا الذي ادعاه بعض المبتدعة باطل ؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ . والمعجزة شاهدة بذلك . وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل .

قال القاضي عياض : وقد جاءت روايات هذا الحديث مبنية على السحر وهو إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده .

ويكون معنى قوله في الحديث : « حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن . ويروي « يخيل إليه » أن يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن . فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور [1] .

وقال الحافظ في الفتح : « وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها ؛ فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض . فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين » قال : « وقد نال بعض الناس : إن المراد بالحديث : أنه كان صلى اللّه عليه وسلم يخيل إليه أنه وطئ زوجته ولم يكن وطأهن . وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام ؛ فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة » .

(١) ذكره النووى فى شرح صحيح مسلم [٤٣١] .

قلت – ابن حجر – : وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة : « حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن » وفي رواية الحميدي : « أنه يأتي أهله ولا يأتيهن » ، قال الداودي : « يُرى » بضم أوله . أي يظن .

وقال ابن التين ضبطت : « يَرى » بفتح أوله .

قلت – ابن حجر – : وهو من الرأي لا من الرؤية فيرجع إلى معنى الظن .

وقد قال بعض العلماء : لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، أن يجزم بفعله ذلك . وإنما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت ؛ فلا يبقى على هذا للملحد حجة .

ويؤيد جميع ما تقدم : أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولا ؛ فكان بخلاف ما أخبر به .

وقال المهلب : صون النبي صلى الله عليه وسلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده . فقد مضى في الصحيح :

« أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه » (١) فكذلك السحر ما ناله من ضروه ؛ ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام أو عجز عن بعض الفعل أو حدوث تخييل لا يستمر بل يزول . ويبطل الله كيد الشياطين .

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث : « فأما أنا فقد شفاني الله » .

يؤيده : ما جاء في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل : « فكان يدور ولا يدري ما وجعه » وفي حديث ابن

(١) روى البخارى [٤٤٩] ومسلم [٥٤١/٣٩] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عفريتاً من الجن جعل يفتك عليَ البارحة ليقطع عليَ الصلاة . وإن الله أمكنني منه فذعته . فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سوارى المسجد . حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم ، ثم ذكرت قول أخي سليمان : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ . فرده الله خاسئاً »

عباس عند ابن سعد « مرض النبي صلى الله عليه وسلم وأُخذ عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان » الحديث .

وقال ابن الأنباري : الطب من الأضداد يقال لعلاج الداء طب ، والسحر من الداء ، يقال له : طب .

وأخرج أبو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه بقرن حين طب » قال أبو عبيد : يعني سحر .

قال ابن القيم : بنى النبي صلى الله عليه وسلم الأمر أولا على أنه مرض ، وأنه عن مادة مالت إلى الدماغ وغلبت على البطن المقدم منه فغيرت مزاجه ، فرأى استعمال الحجامة لذلك مناسبا ، فلما أوحي إليه أنه سحر عدل إلى العلاج المناسب له وهو استخراجه ، قال : ويحتمل أن مادة السحر انتهت إلى إحدى قوى الرأس حتى صار يخيل إليه ما ذكر ؛ فإن السحر قد يكون من تأثير الأرواح الخبيثة ، وقد يكون من انفعال الطبيعة وهو أشد السحر ، واستعمال الحجم لهذا الثاني نافع

لأنه إذا هيج الأخلاط وظهر أثره في عضو كان استفراغ المادة الخبيثة نافعا فى ذلك .

وقال القرطبي : إنما قيل للسحر طب لأن أصل الطب الحذق بالشيء والتفطن له فلما كان كل من عاج المرض والسحر إنما يتأتى عن فطنة وحذق ؛ أطلق على كل منهما هذا الاسم .

○○○

الرُّقَى بِالْقُرْآنِ وَالْمُعَوِّذَاتِ

قال الحافظ فى الفتح : رقيت فلانا بكسر القاف أرقيه . واسترقى طلب الرقية والجمع بغير همز وهو بمعنى التعويذ بالذال المعجمة .

وقوله : « بالقرآن والمعوذات » بالمعوذات سورة الفلق والناس والإخلاص .

أو المراد الفلق والناس وكل ما ورد من التعويذ في القرآن كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧] ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] وغير ذلك ، والأول أولى .

وقد أخرج الترمذي وحسّنه ، والنسائي من حديث أبي سعيد : « كان رسول اللّه ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما » (١) .

(١) رواه الترمذى [٢٠٥٨] . وصححه الألبانى .

وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل يدل على الأولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام اللّه تعالى ، أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي ، أو بما يعرف معناه من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات اللّه تعالى .

واختلفوا في كونها شرطا . والراجح : أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة ، ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال : « كنا نرقى في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول اللّه كيف ترى في ذلك ؟ فقال : اعرضوا عليّ رقاكم . لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » (١) .

وله من حديث جابر : نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا : يا رسول اللّه إنه

(١) أخرجه مسلم [٢٢٠٠/٦٤] .

كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب ، قال : فعرضوا عليه فقال : « ما أرى بأسا ، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه » (١) .

وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها ، لكن دل حديث عوف أن ما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك ؛ فإنه يمنع ، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطا ، والشرط الآخر لابد منه .

وقال قوم : لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة . لحديث عمران بن حصين : « لا رقية إلا من عين أو حمة » (٢) .

وأجيب بأن معنى الحصر فيه : أنهما أصلا كل ما يحتاج إلى الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك لاشتراكها في كونهما ينشآن عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني . ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية .

(١) أخرجه مسلم [٢١٩٩/٦] .
(٢) أخرجه البخارى [٥٣٧٨] .

وقد وقع عند أبي داود في حديث أنس مثل حديث عمران وزاد « أو دم يرقأ » (١) .

وفي مسلم من طريق يوسف بن عبد الله بن الحارث عن أنس قال : « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة » (٢) .

وفي حديث آخر « والأذن » .

ولأبي داود من حديث الشفاء بنت عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : « ألا تعلمين هذه – يعني حفصة – رقية النملة » (٣) ؟

والنملة : قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد .

وقيل : المراد بالحصر معنى الأفضل أي لا رقية أنفع كما قيل : لا سيف إلا ذو الفقار (٤) .

(١) رواه أبو داود [٣٨٨٩] وضعفه الألبانى .
(٢) أخرجه مسلم [٢١٩٦/٥٨] .
(٣) رواه أبو داود [٣٨٨٧] وصححه الألبانى .
(٤) ذكره الحافظ فى الفتح [المجلد العاشر – كتاب الطب – باب الرقى بالقرآن والمعوذات] .

بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن ، وأمسح بيد نفسه بتركها » (١) .

وحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم : « كان يعوذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة » (٢) . و حديث خولة بنت حكيم مرفوعا : « من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل » (٣) وعند أبي داود والنسائي بسند صحيح عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن رجل من أسلم : « جاء رجل فقال : لدغت الليلة فلم أنم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ؛ لم تضرك » (٤) والأحاديث في هذا المعنى موجودة

(١) رواه البخارى [٥٤٠٣] وقال معمر – راوى الحديث عن الزهرى – سألت الزهرى كيف ينفث ؟ قال : ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه .

(٢) أخرجه البخارى [٣١٩١] .

(٣) أخرجه مسلم [٥٤/٢٧٠٨] .

(٤) رواه أبو داود [٣٨٩٨] وصححه الألبانى .

وقال قوم : المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء ، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه . ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما . وفيه نظر . وكأنه مأخوذ من الخبر الذي قرنت فيه التمائم بالرقى . فأخرج أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم من طريق ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود عنها عن ابن مسعود رفعه « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » (١) .

والتمائم : جمع تميمة وهي حرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات ، والتِوَلة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا : شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها . وهو ضرب من السحر . وإنما كان ذلك من الشرك ؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه . فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك ، كحديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم : « كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه [٦٠٩٠] وقال الأرناؤوط : رجاله ثقات رجال الصحيح .

لكن يحتمل أن يقال : إن الرقى أخص من التعوذ وإلا فالخلاف في الرقى مشهور . ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله تعالى والالتجاء إليه في كل ما وقع وما يتوقع .

وقال ابن التين : الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق ؛ حصل الشفاء بإذن الله تعالى ، فلما عزّ هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزّم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له . فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ، ويقال : إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم ، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها ، وكذا اللديغ إذا رقى بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان ، فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئا من الشرك ، وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله ؛ علماء الأمة .

وقال القرطبي : الرقى ثلاثة أقسام : أحدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك .

الثاني : ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز ، فإن كان مأثورا فيستحب .

الثالث : ما كان بأسماء غير الله من مَلَك أو صالح أو معظم من المخلوقات . كالعرش قال : فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله والتبرك بأسمائه فيكون تركه أولى ، إلا أن يتضمن تعظيم المرقيّ به فينبغي أن يجتنب كالحلف بغير الله تعالى .

وقال الربيع : سألت الشافعي عن الرقية فقال : لا بأس أن يرقي بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله . قلت : أيرقى أهل الكتاب المسلمين ؟ قال : نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله . ا هـ .

وفي « الموطأ » أن أبا بكر قال لليهودية التي كانت ترقى عائشة : ارقيها بكتاب الله .

وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال : لم يكن ذلك من أمر الناس فى القديم .

وقال المازري : اختلف في استرقاء أهل الكتاب فأجازها قوم وكرهها مالك لئلا يكون مما بدّلوه .

وأجاب من أجاز بأن مثل هذا يبعد أن يقولوه ، بأنه كالطب سواء لأن غير الحاذق لا يحسن أن يقول ، والحاذق يأنف أن يبدل ؛ حرصا على استمرار وصفه بالحذق لترويج صناعته .

والحق أنه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال .

وسئل ابن عبد السلام عن الحروف المقطعة . فمنع منها ما لا يعرف ؛ لئلا يكون فيها كفر .

○○○

دفع السحر

لفضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى دعاء مشهور لإبطال السحر كان يقول فيه : اللّهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ، ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضر ، فأعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وأثناء كتابتنا لهذا الكتاب ؛ ساق للّه إلينا أحد الأحباب بدعاء مأثور عن بعض الصالحين يقول فيه : اللّهم إنك قد سلّطت علينا بذنوبنا عدواً بصيراً بعيوبنا ، يرانا هو وقبيله ولا نراه ، اللّهم آيسهُ منّا كما آيسْتَهُ من رحمتك ، وقنّطه منّا كما قنّطته من عفوك ، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك ، إنك على كل شيء قدير . ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم .

وصَلِّ اللّهم وسلم وبارك عى سيدنا محمد
وآله وصحبه أجمعين .

النُّشْرة وعلاج السحر

عنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي اللَّه تعالى عنه قالَ : « سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم عنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ : هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ » [1] .

قال في النهاية : « النُشرة - بالضم - ضرب من الرقية والعلاج ، يُعالَج به من كان يظنُّ أن به مسّاً من الجن ، وسميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أي : يُكشف ويُزال .

وقال الحسن : النُشرة من السحر وقد نشّرت عنه تنشيراً . انتهى .

وفى فتح الودود : « لعله كان مشتملا على أسماء الشياطين أو كان بلسان غير معلوم ؛ فلذلك جاء أنه سحر . وسمى نشرة لانتشار الداء وانكشاف البلاء به .

قوله صلى اللَّه عليه وسلم : « هو من عمل الشيطان » : أي من النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به ويعتقدون فيه ،

(١) رواه أبو داود [٣٨٦٨] وقال الألباني : صحيح .

وأما ما كان من الآيات القرآنية والأسماء والصفات الربانية والدعوات المأثورة النبوية فلا بأس به » .

وفي النهاية : « ومنه الحديث : « فلعل طبّاً أصابه ثم نَشَّره بـ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١] . أي : رقاه » [1] .

علاج السحر

قال العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى عليه : علاج السحر قسمان :

القسم الأول : ما يُتقى به السحر قبل وقوعه ، ومن ذلك :

١ - القيام بجميع الواجبات ، وترك جميع المحرمات ، والتوبة من جميع السيئات .

٢ - الإكثار من قراءة القرآن الكريم بحيث يجعل له ورداً منه كل يوم .

٣ - التحصن بالدعوات والتعوذات والأذكار المشروعة ، ومن ذلك : « بسم اللَّه الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض

(١) مختار الصحاح : [ص:٢٧٥] والنهية : [٥٤/٥] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ [الناس] .

وبعد قراءة ما ذُكر فى الماء يشرب منه ثلاث مرات ويغتسل

بالباقى وبذلك يزول الداء بإذن اللّه تعالى ، وإن دعت الحاجة إلى إعادة ذلك مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول المرض ، وقد جُرِّب كثيراً فنفع اللّه به وهو جيد لمن حُبس عن زوجته (١) .

٢ – تقرأ : سورة الفاتحة ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ثلاث مرات أو أكثر مع النفث ، ومسح الوجع باليد اليمنى (٢) .

٣ – التعوذات والرقى والدعوات الجامعة :

١ – أسأل اللّه العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك . « سبع مرات » (٣) .

٢ – يضع المريض يده على الذى يؤلمه من جسده ويقول :

(١) انظر فتاوى الشيخ ابن باز [٣/٢٧٩] ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد [ص:٣٤٦] ، والصارم البتار فى التصدى للسحرة الأشرار للأستاذ وحيد عبد السلام بالى [١٠٩-١١٧] .

(٢) أخرجه البخارى [٥٤١٦] ومسلم [٢١٩٢/٥٠، ٢٢٠١/٦٥] عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه تعالى عنه .

(٣) رواه أبو داود [٣١٠٦] عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما . وقال الألبانى : صحيح .

« بسم الله » ثلاث مرات ، ويقول : « أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » « سبع مرات » (١) .

٣ - أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما (٢) .

٤ - أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة (٣) .

٥ - أعوذ بكلمات الله التامات ، من شر ما خلق (٤) .

٦ - أعوذ بكلمات الله التامات ، من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون (٥) .

---

(١) أخرج مسلم [٦٧/٢٣٠٢] عن عثمان بن عفان العاص رضى الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه البخارى [٥٤١٢] ، ومسلم [٤٦/٢١٩١] واللفظ له . عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخارى [٣١٩١] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

(٤) أخرجه مسلم [٥٤/٢٧٠٨] عن خولة بنت حكيم رضى الله تعالى عنها .

(٥) رواه الترمذى [٣٥٢٨] وقال الألبانى : حسن .

٧ - أعوذ بكلمات الله التامات ، التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما خلق ، وبرأ ، وذرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن (١) .

٨ - اللهم رب السماوات ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ ، وأنت الباطن فليس دونك شئ (٢) .

٩ - بسم الله أرقيك ، من كل شئ يؤذيك ، ومن شر كل نفس ، أو عين حاسد . الله يشفيك ، بسم الله أرقيك (٣) .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ [٢/٩٥٠/١٧٠٥] والطبرانى فى الكبير [١١٥/٤] عن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه :

(٢) أخرجه مسلم [٦١/٢٧١٣] عن جرير رضى الله تعالى عنه .

(٣) أخرجه مسلم [٤٠/٢١٨٦] عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه .

١٠ - بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، وشر كل ذى عين [(١)] .

١١ - بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ، من حسد حاسد ، ومن كل ذى عين ، الله يشفيك [(٢)] .

وهذه التعوذات ، والدعوات ، والرقى ، يعالج بها من السحر ، والعين ، ومس الجان ، وجميع الأمراض ؛ فإنها رقى جامعة نافعة بإذن الله تعالى .

النوع الثالث : الاستفراغ بالحجامة فى المحل أو العضو الذى ظهر أثر السحر عليه . إن أمكن ذلك ، وإن لم يمكن كفى ما سبق ذكره من العلاج بحمد الله تعالى .

النوع الرابع : الأدوية الطبيعية ، فهناك أدوية طبيعية نافعة دل عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة إذا أخذها الإنسان بيقين وصدق وتوجه مع الاعتقاد أن النفع من عند الله ؛ نفع الله بها إن شاء الله تعالى ، كما إن هناك أدوية مركبة من أعشاب

(١) أخرجه مسلم[٣٩/٢١٨٥] عن عائشة رضى تعالى الله عنها .
(٢) رواه ابن ماجه [٣٥٢٣] . وقال الألبانى : صحيح .

ونحوها ، وهى مبنية على التجربة ؛ فلا مانع من الاستفادة منها شرعاً ما لم تكن حراماً .

ومن العلاجات الطبيعية النافعة بإذن الله تعالى : العسل ، والحبة السوداء ، وماء زمزم ، وماء السماء ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق : ٩] وزيت الزيتون ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « كلوا الزيت وادهوا به ؛ فإنه من شجرة مباركة » [(١)] .

ومن الأدوية الطبيعية : الاغتسال ولتنظف والتطيب [(٢)] .

هـــذا .

وقد حوى هذا الكتاب بين دفّتيه بعض خواطر فضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى عن : السحر وكذلك رد العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى أضواء البيان على العلامة فخر الدين الرازى فى شرحه لآية سورة البقرة : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ

(١) رواه الترمذى [١٨١٥] وقال الألبانى : صحيح .
(٢) زاد المعاد [٤/ ١٢٥] .

وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ ﴾ [البقرة : ١٠٢].

قمنا بإعداد مادته ، والتعليق عليه ، وشرحه ، وتخريج أحاديثه ، وإضافة بعض ما يلزم من حواشى أو ملاحق ؛ ليعم النفع به .

نسأل الله تعالى أن ينفع به قارئه وكاتبه وناشره ، ويجزى عنا فضيلة الشيخ الإمام خير الجزاء ، وينور له فى قبره ، ويجعله روضة من رياض الجنة . إنه سبحانه سميع قريب مجيب . وصلِّ اللَّهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه . والحمد لله رب العالمين .

جمادى الآخر ١٤٢٢ هـ — عبد الله حجاج

أغسطس ٢٠٠١ م

السحر

لفضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى

اعداد ودراسة وتحقيق

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

السحر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، ورحمة الله للعالمين ، سيدنا محمد ، أذن الخير التى استقبلت آخر إرسال السماء لهدى الأرض ، ولسان الصدق الذى بلغ عن الحق ، مراده من الخلق ، وعلى آله وصحبه ، دعاة الحق ، وسادة الخلق . وبعد .

قال فضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى : السحر مأخوذ من مادة « السين » و « الحاء » و « الراء » والسَّحَر هو وقت آخر الليل وأول شقشقة النهار ، ففيه من ظلمة الليل ، وإشعاعات النهار (١) .

---

(١) قال شارح كتاب التوحيد : السحر فى اللغة : عبارة عما خفى ولطف سببه ، ولهذا جاء فى الحديث : « إن من البيان لسحرا »(١) وسمى السحور سحوراً ؛ لأنه يقع خفياً آخر الليل ، وقال تعالى : ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأعراف : ١١٦] =

---

(١) أخرجه البخارى [٥١٤٦] ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ومسلم [٤٧/٨٦٩] عن عمار بن ياسر رضى الله عنه .

= أى : أخفوا عنهم علمهم ، ولما كان السحر من أنواع الشرك ؛ إذ لا يأتى السحر بدونه ، ولهذا جاء فى الحديث « ومن سحر فقد أشرك »[1] أدخله « المصنف » فى كتاب « التوحيد » ليبين ذلك تحذيرًا منه ، كما ذكر غيره من أنواع الشرك .

قال أبو محمد المقدسى فى « الكافى » : السحر : عزائم ورقى وعقد ، يؤثر فى القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه ، قال الله تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة : ١٠٢] وقال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق : ١] إلى قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق : ٤] يعنى : السواحر اللاتى يعقدن فى سحرهن وينفثن فى عقدهن ، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه ؛ =

(١) رواه النسائى [٤٠٧٩/١١٢/٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، والمزى فى تهذيب الكمال [١٦٩/١٤] ، سنده ضعيف منقطع ، قال الذهبى فى الميزان [٩٢/٣] : « لا يصح للين عبّاد وانقطاعه » وقال الألبانى : ضعيف .

والسحر هو شىء يُخَيَّلُ إليك أنه واقع وهو ليس بواقع . وهو يأتى بين شيئين : ظاهره واقع ، وباطنه غير واقع ، ونحن نعلم أن السَّحرةَ عندما التقوا بموسى عليه السلام فى الاجتماع العظيم الذى دعا إليه فرعون سحروا أعين الناس حتى خُيِّل إلى الناس أن ما ألقاه السحرةُ هو أشياءٌ حقيقية .

= وروت عائشة أن النبى ﷺ سُحِرَ حتى إنه ليخيل إليه أن يفعل الشىء وما يفعله ، وأنه قال لها ذات يوم : « أتانى ملكان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن أعصم فى مشط ومشاطة فى جف طلعة ذكر فى بئر ذروان »[1] وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له ، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه ، بل منه ما هو تخييل ، ومنه ما له حقيقة ، كما يفهم مما تقدم .

تيسير العزيز الحميد [ص : ٣٨٣] .

(١) أخرجه البخارى [٥٧٦٣] ، ومسلم [٤٣/٢١٨٩] عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

إذن .. لم يكن التغير فى الأشياء التى ألقاها السحرةُ ، ولكنَّ التغير كان فى أعين الناس ، وهذا أمر مختلف عن عصا موسى التى أرادها اللّه أن تكون أفعى فصارت أفعى بقدرة الحق سبحانه ، والمسحور هو من يَحْدُثُ له التغيُّر .

ooo

نهاية من يشتغل بالسِّحر

لقد خلق الحق سبحانه الجن وجعل لهم قدرة على التشكل ؛ فالجنى يستطيع أن يتشكل بأى شىء ، وعندما يتشكلُ فى صورة ما ، فإن الصورة التى تشكل عليها تحكُمُه ، فإن تشكلَ فى صورة إنسانٍ ، أو صورة حيوان ، فإنَّ هذه الصورة تحكمُه بمعنى : إذا تشكل الشيطانُ فى شكل ما ورصده الإنسان ، وأطلق عليه الرصاصَ فإنه يموتُ من فوره . وهذا هو السببُ فى أن الجنى يتشكلُ فى لمحةٍ خاطفة يختفى بعدها ؛ لأنهُ يخشى أن يرصده أحد على هذه الصورة فيقتله .

وفى الحديث أن رسول اللّه ﷺ تمثل له الشيطان ، فهمَّ أن يمسك به ويربطه بسارية المسجد ، ليتفرَّجَ عليه صبيان المدينة ، لولا أنه تذكر دعوة نبى اللّه سليمان عليه السلام ، إذ قال : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [1] [ص: ٣٥] .

(١) أخرج البخارى [٣٢٤١] واللفظ له ومسلم [٥٤١/٣٩] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه عن النبى ﷺ إن عفريتاً من =

إذن .. ففى قدرة الإنسان أن يمسك بالشيطانِ لو تمثل ذلك الشيطان فى شكل ما ، لذلك فالشياطينُ لا تصبر على التمثل فى أشكال غير حقيقتها ؛ لأنها تخافُ أن يرصدها أحد فيقتلها ، وذلك رحمة من اللّه بنا ، وإلا كانت مَردة الجن أفزعتنا .

= الجن تفلت البارحة ، ليقطع علىّ صلاتى ، فأمكننى اللّه منه فأخذته ، فأردت أن أربطه على سارية من سوارى المسجد ، حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخى سليمان : ﴿ رَبِّ اَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ فرددته خاسئاً .
وأخرج مسلم [٤٠/٥٤٢] عن أبى الدرداء رضى اللّه عنه قال : قام رسول اللّه ﷺ فسمعناه يقول : أعوذ باللّه منك . ثم قال : ألعنك بلعنة اللّه ثلاثاً ، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً . فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول اللّه قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك . قال : إن عدو اللّه إبليس جاء بشهاب من نار، ليجعله فى وجهى فقلت : أعوذ باللّه منك « ثلاث مرات » ، ثم قلت : ألعنك بلعنة اللّه التامة ، فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أخذه واللّه لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة .

والحقُّ يحفظ الكونَ بتكافؤ الفرص ، وتكافؤُ الفرص هو الذى يحفظُ أمنَ المجتمع ، وتكافؤ الفرص هو الذى يجعلُ الإنسان أو الشيطان من الجن يلزم حده .

إن تكافؤ الفرص - على سبيل المثال - هو الذى كان يجعلُ كُلّاً من روسيا وأمريكا فى حالة توازن ، فلا تعتدى اعتداءً مباشراً على الدول الأخرى ، وهذا التكافؤ فى الفرص هو الذى يجعل الحرب بينهما باردة .

أما الآن وبعد انهيار الشيوعية فإن الإنسانية كما نرى تشقى بأحادية القطب ، والغطرسة الأمريكية ، التى باتت تعيث فى الأرض فسادًا ، غير عابئة بنداءات الدول الأخرى ، ولا يردعها منظر الدم والأشلاء التى تخلفها ضرباتها للدول الأخرى وبخاصة دول المسلمين ، سواء فى العالم العربى ، أو الإسلامى ، أو حتى الأوربى ، وستظل هكذا إلى أن يأتى من يعيد هذا التكافؤ مرة أخرى ، نسأل اللّه أن يكون على أيدى المسلمين بعد أن ينهضوا من كبوتهم ورقادهم الذى طال أمده .

ولنضرب لمبدأ تكافؤ الفرص مثلاً فنقول : لنفترض أن رجلاً من قرية ما ذهب إلى الجيش وتدرب على حمل البندقية بشكل

متميزاً ، وأنهى مدة الجندية ، وحصل لنفسه على بندقية وراح يَفرضُ الإتاوات على الناس ، ويجعل سادة البلدة تخدمه وهو جالس فى مكانه . هذا الرجل وجوده وحده منفرداً بهذه الميزة هو الذى يجعله يتجبر ويجعل مبدأ تكافؤ الفرص غير موجود ، لكن لنفترض أن رجلاً فى الطرف الآخر من القرية نال نفس الفرصة ، فهنا سيراجع الذى فرض الإتاوات موقفه ، ويحسب حساب البندقية الأخرى . ساعتئذٍ يحدث تكافؤ الفرص .

إذن .. فالذى يجعل الأمن فى العالم يختل هو عدم تكافؤ الفرص ، والله يريد للإنسان تكافؤ الفرص حتى يحفظ أمن المجتمع وسلامته ، ولكن الله يريد أيضاً أن يختبر الإنسان بالابتلاءات المختلفة ، لذلك فلا تظنوا أن الشيطان بحكم قانون خلقه الذى هو من النار ، والنار أخف من الطين الذى خلق منه الإنسان . لا تظنوا أنه قادر على التحكم فيكم ؛ ذلك أن الحق سبحانه بقدرته قد يجعل من الإنسان عالماً بما يستطيع به قهر الجن ، وقد يستخدم الإنسان ذلك فى السيطرة على الجن ، وهى أشياء وقدرات يعلمها الحق سبحانه وتعالى

لخلقه ، وعلَّمها قديمًا إن صحت الرواية لبعض ملائكته ، والملائكةُ لأمر قَدَّرَهُ الله تعالى علموها للناس ، ومع ذلك كان التحذير صريحًا من الملائكة لمن علموهم فقالوا لهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] لماذا يكون ذلك الأمر فتنة ؟ لأن الإنسان إذا استخدم الجن يكون قد أخذ فرصة أكثر من نظيره الإنسان الآخر ، الذى لم يحظ بتلك الفرصة ، وقد يطغى الإنسان بذلك ، ومن يَطْغَ فهو ظالم ، ومن يظلم يستحق العقاب .

إن الحق سبحانه قد يكشف لإنسان ما ، ولحكمة ما بعضاً من الأسرار التى يسخر بها من فوقه من الجن ، ولكن من تعلم ذلك أو درسه فى كتاب ، فليحذر الفتنة ؛ ولذلك فمن الأفضل للإنسان ألا يتعلم ذلك . لماذا ؟ لو افترضنا مثلاً - ولله المثل الأعلى - بأن طفلاً أخذ مسدس أبيه من غير علمه ، ثم ذهب هذا الطفل بالمسدس إلى المدرسة أو النادى ، وحاول إشهاره فى وجه زملائه بغرض التخويف تارة ، والعُجب بالنفس أخرى ، ثم حدثت فى أثناء ذلك مشادة بين هذا

الطفل وغيره من نظرائه ، هنا يكون هذا المسدس الذى فى يد الطفل قد أخل بمبدأ تكافؤ الفرص .

إذن .. عدم تعلم هذا العلم هو نوع من استبقاء تكافؤ الفرص فى الحياة .

إن الحق جل وعلا يريد أن يعطينا هنا قضيتين :

القضية الأولى : وهى أن الشيطان من الجن ، وإن كان تصرفه أقوى من تصرف الإنس ، فذلك بقدرة الحق الذى جعله على هذه الصورة من التكوين .

والقضية الآخرة : هى أن الحق جل وعلا يستطيع بقدرته أن يعطى الإنسان أشياء يسخر بها الجن ؛ ولذلك تحذر الملائكة من تعلم هذا النوع من العلم ، لأن ذلك الأمر فتنة ، فلا داعى أن يكفر بها الإنسان ؛ إن كانت الفتنة فى حد ذاتها ليست مذمومة ، إنها اختبار ؛ الناجح فيه يسعد بتوفيق الله له ، والراسب فيه هو من لم يستفد بما وهبه الله له من إمكانات .

إن ذلك التحذير قدَّره الله تعالى حتى لا يختل مبدأ تكافؤ الفرص . وهناك من يرفض تعلم أساليب تسخير الجن حتى

لا يفتنه ذلك فى أمر دينه ، وهناك من يقول سأتعلمه لأستعمله فى الخير ، وفى دروس الحياة وغيرها .

إن الذى يتعلم هذه الأشياء لا يستطيع أن ينفع بها نفسه ، إن رزقه يأتيه ممن لا يعلمهم ، ومعيشته تكون على حساب من لا يعرفهم ، وحياة من يتعلم هذا الأمر غير مستقرة وأموره مختلة ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

إن الرجال الذين يستجيرون بالجن ويستعينون بهم تنقلب حياتهم إلى نكد وكرب ، مع أن الذى يستجير بالجن كان يطمع لنفسه فى الاستقرار ، فإذا به غارق فى عدم الراحة .

إن الحق سبحانه يستطيع أن يعطِىَ الأدنى فى القوة بحكم خلقه – وهو الإنسانُ – القدرةَ التى يسخّر بها الأعلى بحكم خلقه – وهو الجن – وذلك حتى لا تكون عنصريّة التكوين هى الحاكمة ، وإننى أنصح كل إنسان أن يظل فى قانون جنسه ، حتى لا يقع فيما حرمه الله تعالى عليه ، وتتبدل أحواله من الحسن إلى السيىء ، ومن السيىء إلى ما هو أسوأ

منه ، وليظل تكافؤ الفرص عاصمًا له من الطغيان ، ولا يطلب لنفسه سلاحاً قوياً ويدَّعى نه سوف يستعمله فى الخير .

إننا لم نجد أحداً قد اشتغل بمثل هذا الأمر إلا ومات على فقر . وهناك نصَّابون يدَّعون ذلك العلم ، وليس لهم منه شىء ، لكنهم يُعانون أيضاً من ضنك الحياة .

ولذلك يقالُ : إن كلَّ من يتعلمه يصبح كافراً .. لماذا ؟ لأن الإنسان لحظة التحمُّس للتعلم قد يكون مؤمناً ، لكن لحظة الأداء فغالباً ما تغره القوة فيستخدمها فيما يضر نفسه ومَنْ حوله ويزعم معرفته بالغيب ، وهذا كفر بالخالق سبحانه ، وإخلال بقانون تكافُؤ الفرص .

وقد يتعلمه أحد بدعوى الخير ولكن لا يعلم أى شرور قد تصيب الآخرين من جراء ذلك ، إن الانسانَ لا يضمنُ نفسه ، لذلك لا تجدُ واحداً ممن اشتغلوا بالسحر إلا وعاش فى أيأس الأحوال ، ويحكم عليه الحق بأن يظل أضعف من غيره فى : رزقه ومأكله ومشربه . لماذا ؟ لأن اللّه أراد ذلك الأمر ليوضح لنا أن أحداً لا يستطيع أن يحتال على قدر اللّه ، ولذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] .

تعلُّم السحر فتنة

قد يقول قائل : أنا سأتعلم السحر ولن أستعمِلَه إلا فى الخير !! ونحن نقول لمثل هذا الإنسان : أنت تقول ذلك وقت هدوئك وشغفك بمثل هذا النوع من التعلم ، لكنك لن تضمن نفسك إذا امتلكت هذه القدرة ألَّا تستخدمها فى الطغيان .

إذن .. فلا داعى مطلقًا لتعلم السحر ، ولنا أن نعرف أن تحذير الملكيْنِ لمن يتعلمُ السحر إنما هو أمر أوجبْه إرادة الحق سبحانه وتعالى ؛ ليعرفَ الإنسانُ أنه سوف يتعرضُ لامتحانٍ قاسٍ ، يختلُّ به تكافؤ الفرص فى المجتمع الإنسانى ، لذلك على الإنسان أن يعرف أن هذا أمر شاق قد يعرضه للكفر . يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد يقول قائل : وما ذنب المرء وزوجه أن يتعرضا لتلك التجربة ؟ نقول : وما ذنب الضعيف حين يطغى عليه إنسان قوى فيقتله ؟ إن ذلك سبب يفتك وذاك سبب يفتك ، هذا سبب غيبى غير معروف وحسابه عند الحق ، وذاك سبب مادى قد يكون معروفا وله حسابه أيضًا عند الحق سبحانه وتعالى .

ثم ألا يوجد فى الحياة من البشر الذين لا يراعون منهج الله من يشى بكلمة هنا أو بكلمة هناك فتفسد العلاقات بين الزوجين ؟ إن استخدام أىّ أمرٍ سواءٌ كان سحرًا أو سلاحًا أو كلمة بالمخالفة لمنهج الله لابد أن يضر بالإنسانِ ، وكما يوجدُ الضررُ فى الخروج عن منهج الله فى الأمر المادى ، فالضرر أيضًا يوجد فى الخروج عن منهج الله فى الأمر الغيبى .

إن مطلوب الإيمان هو أن يُسخِّر الإنسانُ كل ما يعرف من علم لخدمة دعوته ودينا ، وهكذا يترقى مطلوب الإيمان عن

مطلوب العلم المحدد ، إن مطلوب الإيمان أن نُؤمنَ بالله وهو غيبٌ ، وأن نحاولَ ترشيد كل ما منحهُ اللهُ لنا من علم لخدمة منهج الله ، وإذا كانت الفتنة قد أوجدها الله اختبارًا لمدى التزام الإنسان بدينه ، ومدى ارتباطه بمنهج الله ، فليعلم أن هذه الفتنة قد تأخذ شكلًا ماديًا حسيًا وقد تأخذ شكلًا غيبيًا

ooo

كيف نتعلم السحر ؟!

قد يسأل سائل فيقول : وكيف نتعلم السحر ؟ فإننا نقول له : إن أمور الغيب ليست علمًا ماديًا حتى نجيب على مثل هذا السؤال ؟ إن الأمور فى العلوم المادية يمكن أن نسأل فيها بكلمة « كيف » ؟ .

نسأل مثلًا مم يتكون الماء ؟ وما كيفية هذا التكوين ؟ وتكون الإجابة هى تجربة معملية تستدعى مزج ذرتين من الأيدروجين وذرة من الأكسجين ليتكون الماء .

ولا أحد يستطيع أن يسأل فى العلم التجريبى بكلمة « لِمَ ؟ » .

أما فى أمور الغيب فلا أحد يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال . دليل ذلك عندما : سأل الخليل إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً : ﴿ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] أجاب الحق سبحانه خليله بقوله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن .. ﴾ ؟ فيجيب خليل الرحمن : ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ وبعد تسليم إبراهيم الخليل عليه السلام بالإيمان بالله ، وأنه الخالق ،

والمحيى والمميت يأمره الحق سبحانه بإجراء تجربة تثبت طلاقة قدرته ليطمئن قلب الخليل عليه السلام ، فيقول سبحانه لإبراهيم : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] إنها تجربة لا يمكن أن يسأل فيها إنسان كيف حدث ذلك الأمر ؟

وكذلك أمر السحر .. إنه أمر غيبى جعله الله تعالى فتنة لعباده ، الساحر والمسحور على السوء :

للساحر عندما يتجاوز قدره ويستعين بأشياء هى محرمة عليه لإلحاق الأذى بخلق الله وبغرض تحقيق ربح دنيوى سريع ، فلا يبارك الله فيه ، ويذهب كما جاء ولا يبقى لهذا المخالف لشرع الله إلا الخزى فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة .

وللمسحور فتنة وابتلاء من الله تعالى ، فيصبر على قدر الله وما لحقه من أذى ويلجأ إلى الله تعالى ويتوكل عليه ويدعوه دعاء المضطر الذى لا حول له ولا قوة إلا بربه ، ويلح عليه فى

الدعاء ولا يفتر عن ذلك ، ويقول : ربى لم يستجب لى ، فيتحسر ويترك الدعاء [1] ، ساعتئذ يظل فريسة لما هو فيه من أذى وضُر ، ولكن عليه أن يعلم أن تأخر الإجابة قد يكون لحكمة فى صالحه هو لا يعرفها ، فكلما تأخرت الإجابة اجتهد فى الدعاء أكثر وأكثر حتى ينجيه اللَّه تعالى مما هو فيه ، وهل للمؤمن من ولىّ أو ناصر أو معين سوى اللَّه ؟ وهل يكشف الضر إلا اللَّه ؟

ولما كان للجن إمكانية التشكل فى صور أخرى غير صورته كإنسان أو حيوان ، فما المانع أن يتشكل شيطانٌ من الجن فى شكل قبيح على وجه امرأة حتى إذا نظر إليها زوجها نفر منها ، ولا يطيق النظر إليها ؟ وما المانع أن يتشكل شيطان من الجن فى شكل قبيح على وجه رجل فلا تطيق زوجته النظر إليه ؟!

---

(١) أخرج البخارى [٦٣٤٠] ومسلم [٩٠/٢٧٣٥] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت فلا ، أو فلم يستجب لى » .

ولا عاصم من هذا وغيره إلا باللجوء إلى كنف اللَّه ، والاستعاذة به سبحانه من الشيطان ، والمداومة على إقامة الصلاة ، وقراءة القرآن ، وذكر اللَّه ، فإن البيت الذى لا يذكر اللَّه فيه ، ولا يقرأ فيه القرآن ؛ هو بيت خرب ، تسكنه الشياطين [1] ، تغدو فيه وتروح ، فَحصِّنوا بيوتكم من الشياطين بذكر اللَّه وإقامة الصلاة وأداء كل ما افترضه اللَّه تعالى عليكم ، عندئذ يحفظكم اللَّه ؛ لأنكم حفظتم شرعه ومنهجه ، وفى الحديث : « احفظ اللَّه يحفظك » [2] .

---

(١) روى الهيثمى فى مجمع الزوائد [١٦٧/٧] عن ابن مسعود قال : « إن هذا القرآن مأدبة اللَّه فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل فإن أصغر البيوت من الخير الذى ليس فيه من كتاب اللَّه شيء ، وإن البيت الذى ليس فيه من كتاب اللَّه شيء كخراب البيت الذى لا عامر له ، وإن الشيطان يخرج من البيت يسمع فيه سورة البقرة » وقال : رواه الطبرانى ورجال هذا الطريق رجال الصحيح .

(٢) روى الترمذى [٢٥١٦] عن ابن عباس رضى اللَّه عنهما =

= قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال : « يا غلام إني أُعلمُكَ كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تُجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف »(1). وقال الألباني : صحيح .

(1) قال السندي : قوله « احفظ الله » ، أي : أمره بامتثال الأوامر واجتناب الزواجر ، « يحفظك » : بالجزم على أنه جواب الأمر أي : يحرسك من مكاره الدنيا ومشاق العُقبى . « تجاهك » قال : بضم التاء ، أي : عندك بالنصر والعون ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] وإنما يحصل البلاءُ والمصائب للعبد بسبب تضييع أوامر الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] . كذا ذكره النووي في « شرح الأربعين » له [ص٥١] ، ويمكن أن يُحمل الحديث على معنى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] . =

ooo

= « على أن ينفعوك » قال : أي : ظاهراً ونسبياً ، لا حقيقة وإيجادًا ، فإنه لا يمكن منهم لا بالمكتوب ولا بغيره ، « قد كتبه الله لك » : أي : على أيديهم أو بواسطتهم ، « جفَّت » : بتشديد الفاء على بناء الفاعل ، والمراد : الفراغ من أمر التقدير ، وأن الأمر لا يزيد ولا ينقص ، نعم يمحو الله مايشاء ويثبت ، فالالتجاء إليه لا إلى غيره .

العاصم من السحر

إن السحر أمر يتعلمه الإنسانُ بالمخالفة لمنهج الله ، رغبة من ذلك الإنسان فى الخروج عن مبدأ تكافؤ الفرص الممنوح لكل البشر ، لذلك فالملكان ينصحان الإنسان الذى يرغب فى تعلم مثل ذلك الأمر : أن السحر فتنة . ويحذرانه من الكفر ، وكأن التحذير يتضمنُ أن الإنسانَ الذى سوف يتعلمُ ذلك الأمر لن يقدر على نفسه ، وكأن التحذير يوضحُ أن السحرَ لن يعطى من يتعلمُهُ شيئاً مفيداً ، وقلتُ : إننا إذا نظرنا إلى الذين يستخدمون السحر فلسوف نجد هيئة كل منهم غير حسنة ، ورزق كل منهم وإن كان فى الظاهر كثيراً ، إلا أنه فى الحقيقة شحيح لا يبارك الله فيه ، وأن أرزاق هؤلاء السحرة تأتى ممن لا يعرفون السحر . ولم نر ولم نسمع أن أحدًا من السحرة سخَّر ما يعرفه من سحرٍ لمنفعته هو . وهذا حالهم شاهد عليهم . ونعوذ بالله من الخذلان .

ولقد كانت البشرية وما زالت تصاب بامراض فتا كة لا يعرف أحد أسماءها ولا أسبابها إلى أن توصل العلم إلى المجهر فوجدوا علاجًا لبعضها .

وكذلك لم يبق من السحر إلا الذى تعلمتْهُ الشياطينُ عن طريق الملكَيْن ببابل هاروت وماروت ؛ والملكان اللذان يعلِّمانِه يؤكدان أن كل من يتعلمه يذهب إلى الكفر ، وأن الله قد أبقى هذا الجزء من السحر فتنة فى الأرض ، والحق يحذر المؤمن من الوقوع فريسة فى أيدى هؤلاء السحرة والمشعوذين ، ويخبره بأنه سبحانه احتفظ بذاته العليا بحق الضر فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] لذلك فالخالق علمنا أن نستعيذ من هؤلاء بطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى ، كأن نقول : « اللَّهم إنك أردت فعلمت ، ولكنك احتفظت بالإذن فى الضرر لك ، فأسألك بما احتفظت به أن تكفينى شر ما علمت » .

إن الإنسان المؤمن يلجأ هنا إلى الخالق لينجيه من ابتلاء الفتنة ولكى يعصمه من ضرر ما صنع السحرةُ ؛ لأنه لا أمرَ يضرُ الإنسانَ إلا بإذنِ الله ، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله تعالى لنا .

وعلى الإنسان أن يداوم على قراءة قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [الفلق] ويتبع ذلك بقراءة قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [الناس] .

إذن .. لو لجأ الإنسان الذى يعانى ضرر السحر وفهم أن ميزانه قد اختل ونظرته للأمور قد اختلت فما عليه إلا أن يلجأ إلى الله بيقينٍ صادقٍ ويسأله أن يرفع عنه شر ما أصابه ، وسؤال الله باليقين الصادق يرد كيد الساحر فى نحره .

والسحر لا يزول أثره عن الذين لا يواجهون مثل هذا الأمر بيقين الإيمان ؛ لذلك تجدهم يذهبون من ساحر إلى آخر ، وبعضهم يلجأ إلى الكفار والمشركين ؛ ليفكوا لهم - بزعمهم - طلاسم السحر ! برغم أن الحق تبارك وتعالى أوجد لنا فى الدعاء باليقين الصادق ما ينجّينا من كرب تلك الأمور .

صحيح أن العقل قد يقفُ متحيرًا أمام تلك الأمور ، وهذه فرصة ليراجع فيها المؤمن إيمانه ، ويصحح [illegible] شابه ، ويجتهد فى عبادته ، ويصدق فى التوجه إلى الله [illegible] تكون تلك هى الحكمة من كل ذلك .

ooo

الإيمان يبطل السحر

إن الإنسان بإيمانه وعمله فى كل المجالات ، تتفتح أمامه آفاق الاكتشافات ، فإذا قابل الإنسان سحرًا واستعاذ بالله بيقين إيمانىّ صادق ، فإن كيد السّحر يرتد فى نحره ، لكن الذى يطيل أمد مفعول السحر هو : أن السحرة يفتنون الناس بعيداً عن ربهم ، برغم أن الواحد منهم لو علم قول الحق : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] لسقط مفعول السحر من النفس بإرادة الحق .

إن المؤمن الحق هو الذى يعرف أن كل أمر يمر به هو اختبار وابتلاء من الله تعالى ، فإن استقبله بنية المؤمن الصافية وحمد الله تعالى ، فإن الله يزيل عنه أدران تلك المتاعب ويكتب له الثواب ، أما أن يجزع الإنسان ولا يصبر لقدر الله ويقنط ، ويهرول من سحّار إلى سحّار ، ومن مدجّل إلى مدجّل ، ومن مُشَعْوِذٍ إلى مُشعوذ ، فذلك إطالة لأمد السحر .

وقد يحاول البعض استخدام السحر فى كشف غيب الآخرين الذى حدث فى الماضى ، ولذلك أقول : على الإنسان أن يتأدب فلا يحاول كشف غيب أحد ، وإذا افترضنا جدلاً أن إنساناً علم غيباً عن أحد ؛ فعليه أن يستره ، ومن نعم الله على الخلق أنه ستر غيب كل إنسان عن الآخر ، فلماذا يحاول البعض التنقيب عن غيب الآخرين ؟ فسبحان من ستر غيبه عن خلقه .

إذن .. فالمؤمن الحق هو من يتقبل اختبارات الحق بيقين الإيمان ، وقوة الثقة بالله ، فيرد الله عنه كيد الكائدين ، سواء كان هذا الكيد مرئياً أو غير مرئى ، أو يعوضه الله عن ذلك بالثواب العظيم .

ooo

الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

ما هى الفتنة فى ذلك ؟ الفتنة فى ذلك : هى أن الإنسان الذى يتعلم هذا العلم يأخذ بذلك فرصة ليست موجودة للغير ، وعندما توجد عند الإنسان فرصة ليست هى موجودة للغير . خاصة إذا كانت هذه الفرصة تستخدم فى الغالب فى ضرر الناس ، حينئذٍ لا يضمن الإنسان ألا يستخدمها فى الضرر .

هى إذن فرصة قد تقود إلى النار ، لذلك جاء فى القرآن الكريم على لسان الملكين : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

إذن .. الحق سبحانه وتعالى من طلاقة قدرته يعطى للجنس الضعيف بحكم قانون تكوينه كالإنس مثلاً شيئاً يستطيع أن يسخر به الأقوى بحكم قانون تكوينه كالجن ، والجن يعلمون هذه المسألة ، ولذلك كل الذين يتعاطون مثل هذه المسائل يعرفون أن الجن لا تأتى فى رتابة ولكنها تظهر فى لمحة خاطفة ؛ لماذا ؟

لأن الجن لا يستطيع أن يظل على صورته التى تمثل فيها ؛ لأنه لو تمثل فى صورة إنسان مثلًا لـحَكَمَتْهُ الصورة ، وما دامت حَكَمَتْهُ الصورةُ فقد يستطيعُ إنسان أن يمسك به ، أويقتله ، وقد يظن الجن أن الإنسان يعرف هذا الأمر فى طبيعته ، ولذلك يخشى على نفسه من ذلك ، فيتمثل فى صورة ما ، ويظهر كلمحة ، أو كومضة البرق ويختفى .

ولكن الإنسان العاقل يتنبه إلى أن هذه المسألة ليست فى صالحه ، لذلك يقول : أنا لا أريد هذه الفرصة لأنى أكتفى فى جنسى بقانونى الذى خلقنى الله تعالى عليه ، ولا توجد عندى مغريات تعطينى فرصة ليست عند أخى الإنسان ، وربما وجود هذه الفرصة عندى يخلخل تكافؤ الفرص بينى وبين إخوانى

من البشر . ونحن نعرف أن غالبية الذين يملكون هذه القرصة يمتهنونها ، فتجده يصنع لشيء ثم يصنع عكسه ، بمعنى : أنه يقوم بعمل شيء مّا يجعل المرأة تكره زوجها ، أو يجعل الزوج يكره امرأته ، ثم هو نفسه الذى يقوم بحل هذا « العمل المصنوع » ومن مصلحة الساحر أن تزداد هذه الأمور حتى يكثر المترددون عليه ، ولا ينجو من شره أحد إلا من آمن عن يقين بقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فلو قال قائل : « إنه مسحور » فنحن نعرف أن السحر وارد ، لكن يجب أن نعلم أنها طبيعة فيه ، والله تعالى حين لا يأذن بضره فلن يضره أحد . أما وجود السحرة فواقع ، وهم فتنة للناس ؛ والذى يتبع هؤلاء السحرة حتى يصنعوا له السحر أو يفكوا له السحر ، يفتن بهم . ويظل طوال عمره فى تعب ونصب ؛ قال جل جلاله : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

لذلك فمن الخير الابتعاد عن هذه المجالات ، وعلى الإنسان أن يوثق علاقته بربه ، وأن يتمسك بدينه ، ويحرص على أداء

ما افترضه الله تعالى عليه ، وإذا اصابه شيء من مثل هذه الأمور فليستعذ بالله ، وليحصّن نفسه بذكر الله ، بقراءة المعوذتين ، ويدعو قدر استطاعته ، ليكن من دعائه :

اللّهم إنك أقدرت بعض خلقك على السحر ، واحتفظت لذاتك بإذن الضر ، فأعوذ بك يا رب مما أقدرت عليه ، بما احتفظت به ، بحق قولك : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعلى الإنسان أن يتجاهل السحر؛ . فما هم بضارّين أحداً إلا بإذن الله ، وليعلم كل منا أن ما قدره الله له كائن لا محالة ، ولو أن الأمة اجتمعت على أن تنفع شخصاً ما بشيء لم يقدره الله له فلن تستطيع ، ولو اجتمعت على أن تضر شخصاً آخر بشيء لم يقدره الله عليه فلن تستطيع ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، فعليه بمداومة ذكر الله تعالى وقراءة القرآن وأداء ما افترضه الله تعالى عليه ، فذلك هو العاصم من السحر وغيره (١) .

(١) روى أبو داود [٤٧٠٠] ، والترمذى [٢١٤٤] عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بنى ، إنك لن تجد طعم حقيقة =

ooo

= الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : ربِّ وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس منى » . وصححه الألبانى .

حكم الساحر

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة : ١٠٢] أى : ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر بمتابعة الرسل والإيمان بالله ﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ أى : استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله ومتابعة رسله ﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ قال ابن عباس : من نصيب . قال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له فى الآخرة . وقال الحسن : ليس له دين . فدلت الآية على تحريم السحر وهو كذلك ، بل هو محرم فى جميع أديان الرسل عليهم السلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه : ٦٩] واستدل بها بعضهم على كفر الساحر لعموم قوله : ﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ يدل عليه : قوله : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] وقد نص أصحاب أحمد على أنه

يكفر بتعلمه وتعليمه . وروى عبد الرزاق عن صفوان بن سليم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلم شيئًا من السحر قليلاً كان أو كثيراً ، كان آخر عهده من الله » وهذا مرسل(١) .

واختلفوا : هل يكفر الساحر أو لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد ، وقال أصحابه : إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقى شيء يضر ؛ فلا يكفر ، وقيل : لا يكفر إلا أن يكون فى سحره شرك فيكفر ، وهذا قول الشافعى وجماعته .

قال الشافعى رحمه الله تعالى : إذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر ، مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها ، فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر ، فإن اعتقد إباحته كفر .

(١) رواه عبد الرزاق [١٨٧٥٣] ، وابن حزم فى المحلى [٣٩٦/١١] ، وفيه إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى الأسلمى . كذبوه .

وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف ، فإن من لم يُكَفِّر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك ، بل لا يأتى السحر الذى من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب ولهذا سماه الله تعالى كفراً فى قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] وقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، وفى حديث مرفوع رواه رزين : « الساحر كافر »(١) .

وقال أبو العالية : السحر من الكفر . وقال ابن عباس فى قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ وذلك أنهما علَّماه الخير والشر والكفر والإيمان ، فعرفاه أن السحر من الكفر ، وقال ابن جريج فى الآية : لا يجترئ على السحر إلا الكافر .

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر ، وإن سمى سحراً على سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً ، ولكنه يكون حرامًا لمضرته ، فيعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا (٢) .

(١) هذا الحديث مما انفرد به رزين ، وما ينفرد به واهٍ فى الغالب . انظر الفوائد المجموعة للشوكانى [٤٩] .

(٢) تيسير العزيز الحميد [ص:٣٨٤-٣٨٥] .

وعن جندب مرفوعًا : « حَدُّ الساحر ضربة بالسيف »[1] .

قوله : « حد الساحر ضربة بالسيف » . روى بالهاء والتاء وكلاهما صحيح ، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة ، فقالوا : يقتل الساحر .

وروى ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة ، وجندب ابن عبد الله وجندب بن كعب ، وقيس بن سعد ، وعمر بن عبد العزيز . ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر ، إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر . وبه قال ابن المنذر . وهو رواية عن أحمد ، والأول أولى للحديث ، ولأثر عمر الذى ذكره المصنف وعمل به الناس فى خلافته من غير نكير فكان إجماعاً .

وعن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن

(١) رواه الترمذى [١٤٦٠] ، والطبرانى فى الكبير [١٦٦٥] والدارقطنى [١١٤/٣] ، والحاكم [٣٦٠/٤] ، وصححه ووافقه الذهبى والبيهقى [١٣٦/٨] والحديث ضعفه الحافظ فى الفتح [٢٣٦/١٠] ورجح الذهبى فى الكبائر [ص:١٢] وقفه وضعفه الألبانى .

اقتلوا كل ساحر ، وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر[1] .

وصح عن حفصة[2] رضى الله تعالى عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت . وكذا صح عن جندب[3] .

○○○

(١) صحيح . رواه الشافعى « بدائع المنن : ١٥٣٢ » وأحمد فى المسند [١٩١،١٩٠/١] وأبو داود [٣٠٤٣] وصححه الشيخ الألبانى - ورواه البيهقى [١٣٦/٨] وابن حزم [٣٩٧/١١] وصححه ابن حزم .

(٢) رواه مالك [٨٧١/٢] عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بلاغًا ، ووصله عبد الله بن أحمد فى مسائل أبيه [١٥٤٣] ، والبيهقى [١٣٦/٨] عن ابن عمر بسند صحيح .

(٣) رواه البخارى فى التاريخ الكبير [٢٢٢/٢] ، والبيهقى [١٣٦/٨] من طريق خالد الحذاء عن أبى عثمان النهدى ، وخالد لم يسمع من أبى عثمان كما قال الإمام أحمد . لكن تابعه عاصم الأحول عن أبى عثمان عند البخارى فى التاريخ [٢٢٢/٢] ، ورواه البيهقى [١٣٦/٨] وفى سنده ابن لهيعة .

تيسير العزيز الحميد [ص : ٣٩٦،٣٩٢] بتصرف .

قال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] .

إن الفعل فى سياق النفى من صيغ العموم ؛ لأنه ينحل عند بعض أهل العلم عن مصدر وزمان ، وعند بعضهم عن مصدر وزمان ونسبة ؛ فالمصدر كامن فى مفهومه إجماعاً ، وهذا المصدر الكامن فى مفهوم الفعل فى حكم النكرة فيرجع ذلك إلى النكرة فى سياق النفى وهى صيغة عموم عند الجمهور . فظهر أن الفعل فى سياق النفى من صيغ العموم ، وكذلك الفعل فى سياق الشرط ؛ لأن النكرة فى سياق الشرط أيضاً صيغة عموم . وأكثر أهل العلم على ما ذكرنا من أن الفعل فى سياق النفى أو الشرط من صيغ العموم ، خلافاً لبعضهم فيما إذا لم يُؤَكد الفعل المذكور بمصدر ؛ فإن أُكد فهو صيغة عموم بلا خلاف ، كما أشار إلى ذلك فى مراقى السعود ، بقوله عاطفاً على صيغ العموم :

ونحو لا شربت أو إن شربا   واتفقوا إن مصدر قد جلبا

والتحقيق فى هذه المسألة أنها لا تختص بالفعل المتعدى دون اللازم ، خلافا لمن زعم ، وأنه لا فرق بين التأكيد بالمصدر

وعدمه ؛ لإجماع النحاة على أن ذكر المصدر بعد الفعل تأكيد للفعل ، والتأكيد لا ينشأ به حكم ، بل هو مطلق تقوية لشيء ثابت قبل ذلك ، كما هو معروف . وخلاف العلماء في عموم الفعل المذكور هل هو بدلالة المطابقة أو الالتزام معروف .

وإذا علمت ذلك فأعلم أن قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ ﴾ الآية ، يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن السحر ، وأكد ذلك بالتعميم في الأمكنة قوله : ﴿ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ ، وذلك دليل على كفره ؛ لأن الفلاح لا يُنفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر ، ويدل على ما ذكرنا أمران :

الأول : هو ما جاء من الآيات الدالة على أن الساحر كافر ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] فقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ يدل على أنه لو كان ساحراً – حاشاه من ذلك – لكان كافراً .

وقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ ، صريح في كفر معلم السحر .

وقوله سبحانه وتعالى عن هاروت وماروت مقرراً له : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ ، أي : من نصيب ، ونفي النصيب في الآخرة بالكلية لا يكون إلا للكافر ، عياذاً بالله تعالى .

وهذه الآيات أدلة واضحة على أن من السحر ما هو كفر بواح ، وذلك مما لا شك فيه .

الأمر الثاني : أنه عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ﴾ يراد بها الكافر ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يونس] .

وقوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس : ١٧] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١] ، إلى غير ذلك من الآيات .

ويفهم من مفهوم مخالفة الآيات المذكورة أن من جانب تلك الصفات التى استوجبت نفى الفلاح عن السحرة والكفرة غيرهم أنه ينال الفلاح ، وهو كذلك ، كما بينه جل وعلا فى آيات كثيرة ؛ كقوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] والآيات بمثل ذلك كثيرة .

وقوله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] ، مضارع أفلح ، بمعنى : نال الفلاح .

والفلاح فى العربية على الفوز بالمطلوب ؛ ومنه قول لبيد :

فاعقلى إن كنت لما تعقلى ولقد أفلح من كان عقل

فقوله : « ولقد أفلح من كان عقل » ، يعنى : أن من رزقه

الله العقل فاز بأكبر مطلوب . ويطلق الفلاح أيضا على البقاء والدوام فى النعيم ؛ ومنه قول لبيد :

لو أن حيا مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح (١)

فقوله : « مدرك الفلاح » يعنى : البقاء . وقول الأضبط بن قريع السعدى ، وقيل كعب بن زهير :

لكل هم من الهموم سعه والمسى والصبح لا فلاح معه

عنى : أنه ليس مع تعاقب الليل والنهار بقاء ، وبكل واحد من المعنيين فسر بعض أهل العلم « حى على الفلاح » فى الأذان والإقامة .

وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ حيث كلمة تدل على المكان ، كما تدل حين على الزمان ، وربما ضمنت معنى الشرط ، فقوله : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ ، أى : حيث توجه وسلك . وهذا أسلوب عربى معروف يقصد به التعميم ؛ كقولهم : فلان متصف بكذا حيث سير ، وأية سلك ، وأينما كان ؛ ومن هذا القبيل قول زهير :

(١) فى الأصل : لنا له ؛ والتصويب من لسان العرب .

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقا أية سلكوا (١)

وقال القرطبى رحمه الله فى تفسير هذه الآية : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ أى : لا يفوز ولا ينجو حيث أتى من الأرض .

وقيل : حيث احتال ، والمعنى فى الآية هو ما بينا ، والله تعالى أعلم .

○○○

(١) مجمع الأمثال للميدانى [٢/باب ٢٦ ؛ فيما أوله واو].

مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة

المسألة الأولى :

اعلم أن السحر يطلق فى اللغة على كل شىء خفى سببه ولطف ودق ، ولذلك تقول العرب فى الشىء الشديد الخفاء : أخفى من السحر ؛ ومنه قول مسلم بن الوليد الأنصارى :

جعلت علامات المودة بيننا مصائد لحظ هن أخفى من السحر
فأعرف منها الوصل فى لين طرفها وأعرف منها الهجر فى النظر الشزر

ولهذا قيل لملاحة العينين سحر ؛ لأنها تصيب القلوب بسهامها فى خفاء . ومنه قول المرأة التى شببت بنصر بن حجاج السلمى :

وانظر إلى السحر يجرى فى لواحظه وانظر إلى دعج فى طرفه الساجى

المسألة الثانية :

اعلم أن السحر فى الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع ؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته ، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعا لها مانعاً لغيرها ، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء فى حده اختلافاً متبايناً .

المسألة الثالثة :

اعلم أن الفخر الرازى فى تفسيرة قسم السحر إلى ثمانية أقسام :

القسم الأول : سحر الكلدانيين والكسدانيين ، الذين كانوا فى قديم الدهر يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنها هى المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات والسرور ، والسعادة والنحوسة ، وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم وراداً عليهم ، وقد أطال الكلام فى هذا النوع من السحر .

قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له - : ومعلوم أن هذا النوع من السحر كفر بلا خلاف ؛ لأنهم كانوا يتقربون فيه للكواكب كما يتقرب المسلمون إلى الله ، ويرجون الخير من قبل الكواكب ويخافون الشر من قبلها ، كما يرجو المسلمون ربهم ويخافونه ؛ فهم كفرة يتقربون إلى الكواكب فى سحرهم بالكفر البواح .

النوع الثانى من السحر : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، ثم استدل على تأثير الوهم بأن الإنسان يمكنه أن يمشى

على الجسر الموضوع على وجه الأرض ، ولا يمكنه المشى عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه ، قال : وما ذاك إلا أن تخيل السقوط متى قوى أوجبه .

وقال : واجتمعت الأطباء على نهى المعروف عن النظر إلى الأشياء الحمر ، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران ، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام .

قال : وحكى صاحب الشفاء عن أرسطو فى طبائع الحيوان : أن الدجاجة إذا تشبهت كثيراً بالديكة فى الصوت وفى الحراب مع الديكة نبت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك ، قال : ثم قال صاحب الشفاء : وهذا يدل على أن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية .

قال : واجتمعت الأمم على أن الدعاء اللسانى الخالى عن الطلب النفسانى قليل العمل عديم الأثر . فدل ذلك على أن للهمم والنفوس . آثاراً إلى آخر كلامه فى هذا النوع من أنواع السحر ، وقد أطال الكلام فيه .

ومعلوم أن النفوس الخبيثة لها آثار بإذن الله تعالى ، ومن أصرح الأدلة الشرعيه فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » . (١)

وهذا الحديث الصحيح يدل على أن همة العائن وقوة نفسه فى الشر جعلها الله سببا للتأثير فى المصاب بالعين .

وقال الرازى فى هذا النوع من أنواع السحر : إذا عرفت هذا ، فنقول : النفوس التى تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قوية جداً فتستغنى فى هذه الأفعال عن الاستعانة بالآلات والأدوات ، وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات .

وتحقيقه : أن النفس إذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السماء كانت كأنها روح من الأرواح السماوية ، فكانت قوية على التأثير فى مواد هذا العالم ، أما إذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه الذات البدنية ، فحينئذ لا يكون لها تصرف إلا فى هذا البدن . إلى آخر كلامه

---

(١) رواه البخارى [٥٤٠٨] ومسلم [٢١٨٨ / ٤٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

ولا يخفى ما فيه على من نظره .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره فى سورة البقرة ، بعد أن ساق كلام الرازى الذى ذكرناه آنفا ، ما نصه : ثم ارشد إلى مداواة هذه الداء بتقليل الغذاء والانقطاع عن الناس .

وقلت : وهذا الذى يشير إليه هو التصرف بالحال ، وهو على قسمين : تارة يكون حالا صحيحة شرعية ، يتصرف بها فيما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهذه الأحوال مواهب من الله تعالى ، وكرامات للصالحين من هذه الأمة ، ولا يسمى هذا سحر فى الشرع ، وتارة تكون الحال فاسدة لا يمتثل صاحبها ما أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتصرف بها فى ذلك . فهذه حال الأشقياء المخالفين للشريعة ، ولا يدل إعطاء الله إياهم هذه الأحوال على محبته لهم ؛ كما أن الدجال له من خوارق العادات ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة ، مع أنه مذموم شرعاً لعنه الله . وكذلك من شابهه من مخالفى الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى .

النوع الثالث من أنواع السحر المذكورة : الاستعانة بالأرواح الأرضية ، يعنى : تسخير الجن واستخدامهم . قال :

واعلم أن القول بالجن مما أنكره بعض المتأخرين من الفلاسفة والمعتزلة ، أما أكابر الفلاسفة فلم ينكروا القول بها ؛ إلا أنهم سموها بالأرواح الأرضية ، والجن المذكورون قسمان : مؤمنون ، وكافرون وهم الشياطين .

قال الرازى فى كلامه على هذا النوع من السحر : واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، لما بينهما من المناسبة والقرب . ثم إن أصحاب الصنعة وأصحاب التجربة شاهدوا بأن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة من الرقى والدخن والتجريد .

وهذا النوع هو المسمى بالعزائم ، وعمل تسخير الجن .

وقد أطال الرازى أيضا الكلام فى هذا النوع من أنواع السحر .

النوع الرابع من أنواع السحر : هو التخيلات والأخذ بالعيون ، ومبنى هذا النوع منه على أن القوة الباصرة قد ترى

الشىء على خلاف ما هو عليه فى الحقيقة لبعض الأسباب العارضة ؛ ولأجل هذا كانت أغلاط البصر كثيرة . ألا ترى أن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركاً ، وذلك يدل على أن الساكن يُرى متحركاً ، والمتحرك ساكناً ، والقطرة النازلة ترى خطا مستقيماً . إلى آخر كلام الرازى .

وقد أطال الكلام أيضاً فى هذا النوع .

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره فى سورة البقرة مختصراً كلام الرازى المذكور : ومبناه على أن البصر قد يخطىء ويشتغل بالشىء المعين دون غيره ، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شىء يذهل أذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم إليه ، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشىء بالتحديق ونحوه ، عمل شيئا آخر عملاً بسرعة شديدة ، وحينئذ ، يظهر لهم شىء غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً ، ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله ، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غـ ما يريد إخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله .

قال : « وكلما كانت الأحوال تفيد حس البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد ، كان العمل أحسن ، مثل أن يجلس المشعبذ فى موضع مضىء جداً أو مظلم ، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها والحالة هذه » . اهـ منه .

ولا يخفى أن يكون سحر سحرة فرعون من هذا النوع ؛ فهو تخييل وأخذ بالعيون كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] ، فإطلاق التخييل فى الآية على سحرهم نص صريح فى ذلك . وقد دل ذلك أيضا قوله سبحانه وتعالى فى « الأعراف » : ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦] . لأن إيقاع السحر على أعين الناس فى الآية يدل على أن أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة ، والعلم عند الله تعالى .

النوع الخامس من أنواع السحر : الأعمال العجيبة التى تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية ، كفارس على فرس فى يده بوق ، كلما مضت ساعة من النهار

ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد . ومنها الصور التى يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان ، حتى إنهم يصورونها ضاحكة وباكية ، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور ، وبين ضحك الخجل ، وضحك الشامت .

فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل .

قال الرازى : وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب ، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج فى هذا الباب علم جر الأثقال ، وهو أن يجر ثقيلا عظيما بآله خفيفة سهلة ، وهذا فى الحقيقة لا ينبغى أن يعد من باب السحر ؛ لأن لها أسباباً معلومة نفيسة ، من اطلع عليها قدر عليها ، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيراً عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر لخفاء مأخذه . اهـ .

وقد علمت أن الرازى يرى أن سحر سحرة فرعون من هذا النوع الأخير ؛ لأن السحرة جعلوا الزئبق على الحبال والعصى فحركه حرارة الشمس فتحركت الحبال والعصى ، فظنوا أنها حركة طبيعية حقيقية . والذى يظهر لنا أنه من النوع الذى قبله

كما قدمنا ، ولا مانع من أن يتوارد نوعان على شيء واحد فيكون داخلاً في هذا وفي هذا ، والله تعالى اعلم .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكر كلام الرازى الذى ذكرنا في هذا النوع من السحر ، قلت : ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم بما يرونهم إياه من الأنوار ؛ كقضية قمامة الكنيسة التى لهم ببيت المقدس ، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة ، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطعام منهم ، وأما الخواص منهم فمعترفون بذلك ، ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم ، فيرون ذلك سائغا لهم ، وفيهم شبه من الجهلة الأغبياء من متعبدى الكرامية الذى يرون جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب ، فيدخلون في عداد من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار »(١) .

(١) رواه البخارى [٥٤٠٨] ومسلم [٣ / ٣] . عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

وقوله : « حدثوا عنى ولا تكذبوا على ، فإنه من يكذب على يلج النار »(١) .

ثم ذكرها هنا - يعنى الرازى - حكاية عن بعض الرهبان ، وهى أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ، ضعيف الحركة ، فإذا سمعته الطيور ترق له فتذهب في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به ، فعمد هذا الراهب إلى صنعه طائر على شكله وتوصل إلى أن جعله أجوف ، فإذا دخلته الريح سمع منه صوت كصوت ذلك الطائر ، وانقطع في صومعة ابتناها ، وزعم أنها على قبر بعض صالحيهم ، وعلق ذلك الطائر في مكان منها ، فإذا كان زمان الزيتون فتح باباً من ناحيته فتدخل الريح إلى داخل هذه الصورة فيسمع صوتها كل طائر في شكله أيضا ، فتأتى الطيور فتحمل من الزيتون شيئا كثيراً ، فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه لصومعه ولا يدرون ما سببه ، ففتنتهم بذلك وأوهمهم أن هذا من كرامات صاحب ذلك القبر ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، انتهى كلام ابن كثير .

(١) رواه مسلم [١ / ١] عن علىّ رضى الله تعالى عنه .

وذكر الرازى فى هذه المسألة التى نقلها عنه ابن كثير : أن ذلك الطائر المذكور يسمى البراصنل ، وأن الذى عمل صورته يسمى أرجعيانوس الموسيقار ، وأنه جعل ذلك على هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه ، وأن الذى قام بعمارة ذلك الهيكل أولا : اسطرخس الناسك .

قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له - : وهذا النوع الخامس الذى عده الرازى من أنواع السحر ، الذى هو الأعمال العجيبة التى تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسبة الهندسية .. إلخ لا ينبغى عده اليوم من أنواع السحر ؛ لأن أسبابه صارت واضحة متعارفة عند الناس ، بسبب تقدم العلم المادى . والواضح الذى صار عاديا لا يدخل فى حد السحر ، وقد كانت أمور كثيرة خفية الأسباب فصارت اليوم ظاهرتها جداً ، والله تعالى أعلم .

النوع السادس من أنواع السحر : الاستعانة بخواص الأدوية ، مثل أن يجعل فى طعامه بعضْ الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله ، وقلت فطنته ، قاله الرازى .

ثم قال : « واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص ، فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب ، والباطل بالحق » . اهـ كلام الرازى .

وقال ابن كثير رحمه الله ، بعد أن ذكر هذا النوع من السحر نقلاً عن الرازى : قلت : « يدخل فى هذا القبيل كثير ممن يدعى الفقر ، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعيا أنها أحوال له : من مخالطة النيران ، ومسك الحيات ، إلى غير ذلك من المحاولات » . انتهى كلام ابن كثير .

النوع السابع من أنواع السحر المذكور : تعليق القلب ، وهو أن يدعى الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم ، وأن الجن يطيعونه وينقادون له فى أكثر الأحوال ، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز ، اعتقد أنه حق ، وتعلق قلبه بذلك ، حصل فى نفسه نوع من الرعب والمخافة ، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ، فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل ما يشاء .

قال الرازى : وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم ، علم أن لتعلق القلب أثراً عظيماً فى تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار .

وقال ابن كثير بعد أن نقل هذا النوع من السحر عن الرازى : قلت : هذا النمط يقال له التنبلة وإنما يروج على ضعفاء العقول من بنى آدم ، وفى علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه ؛ فإذا كان النبيل حاذقا فى علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره .

النوع الثامن من أنواع السحر : السعي بالنميمة والتضريب من وجود لطيفة خفية وذلك شائع فى الناس اهـ .

والتضريب بين القوم : إغراء بعضهم على بعض .

وقال ابن كثير رحمه الله ، بعد أن نقل هذا النوع الأخير عن الرازى ، قلت : النميمة على قسمين : تارة تكون على وجه التحريش بين الناس ، وتفريق قلوب المؤمنين ؛ فهذا حرام متفق عليه ، فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين الناس ، وائتلاف كلمة المسلمين ، كما جاء فى الحديث : « ليس الكذاب من ينم خيراً » [1] ، أو يكون على وجه التخذيل

(١) روى البخارى [٢٥٤٦] ومسلم [١٠١/٢٦٠٥] عن أم كلثوم بنت عقبة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، فينمى خيراً أو يقول : خيراً » .

والتفريق بين جموع الكفرة ، فهذا أمر مطلوب كما جاء فى الحديث : « الحرب خدعة » [1] وكما فعل نعيم بن مسعود فى تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة ، جاء إلى هؤلاء ونمى إليهم عن هؤلاء ، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئا آخر ، ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت .

وإنما يحذوا على مثل هذا الذكاء ذو البصيرة النافذة ، والله المستعان .

ثم قال الرازى : فهذه جملة الكلام فى أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه .

قلت : وإنما أدخل كثيرا من هذه الأنواع المذكورة فى فن السحر للطافة مداركها ؛ لأن السحر فى اللغة عبارة عما لطف وخفى سببه ، ولهذا جاء فى الحديث : « إن من البيان لسحراً » [2] وسمى السحور سحوراً لكونه يقع خفيا آخر الليل .

(١) رواه البخارى [٢٨٦٦] ومسلم [١٧٤٠ / ١٨] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

(٢) رواه البخارى [٤٨٥١] عن رضى الله تعالى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما .

والسحر : الرئة وهى محل الغذاء ، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه ، كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة : انتفخ سحره ، أى : انتفخت رئته من الخوف . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى (١) .

وقال تعالى : ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ ، أى : أخفوا عنهم عملهم . انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى .

وهذا هو حاصل الأقسام الثمانية التى ذكرها الفخر الرازى ، فى تفسيره فى سورة البقرة ، انقسام السحر إليها .

ولأهل العلم فيه تقسيمات متعددة يرجع غالبها إلى هذه الأقسام المذكورة . وقد قسمه الشيخ سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى الشنقيطى - صاحب التآليف العديدة المفيدة - فى نظمه المسمى رشد لغافل وشرحه له ، الذى بين فيه أنواع علوم الشر لتتقى وتجتنب إلى أقسام متعددة :

(١) رواه البخارى [٤١٨٦] عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

قسم يسمى بالهيماء ، بكسر الهاء بعدها مثناه تحتيه فميم فياء بعدها ألف التأنيث الممدودة ، على وزن كبرياء .

قال : « وهو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك ، يحصل لمن عمل له شىء من ذلك أمور معلومة عند السحرة ، وقد يبقى له إدراك ، وقد يسلبه بالكلية فتصير أحواله كحالات النائم من غير فرق ، حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة فى الزمن اليسير ، وحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار وغير ذلك فى ساعة ونحوها من الزمن ليسير . ومن لم يعمل له ذلك لا يجد شيئا مما ذكر ، وهذا تخيل لا حقيقة له » . اهـ .

ومنها نوع يسمى بالسيمياء : بكسر السين المهملة وبقية حروفة كحروف ما قبله . قال : وهو عبارة عما تركب من خواص أرضية كدهن خاص ، أو مائعات خاصة يبقى معها إدراك . وقد يسلب بالكلية إلى آخر ما تقدم فى الهيمياء .

ومنها نوع هو رقى ضارة قال : كرقى الجاهلية وأهل الهند ، وربما كانت كفراً . قال : ولهذا نهى مالك رحمه الله عن الرقى بالجمية . قال : وقال ابن زكرى فى شرح النصيحة : ولا يقال لما يحدث ضرراً رقى ، بل ذلك يقال له سحر .

ومنها قسم يسمى خصائص بعض الحقائق التي لها تسلط على النفوس : كالمشط والمشاقة وجف طلع الذكر من النخل ، وقصة جعل اليهودى لذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر فى سحره مشهورة [1] .

ومن أمثلة هذا النوع عند أهله : أن بعض أنواع الكلاب من شأنه إذا رمى بحجر أن يعضه فإذا رمى بسبع حجارة وعض واحدة منه وطرحت تلك الحجارة في ماء فمن شرب منه فإن السحرة يزعمون أنه تظهر فيه آثار مخصوصة معروفة عندهم ؛ قبحهم الله تعالى .

ومنها نوع يسمى بالطلاسم : وهو عبارة عن نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهلها فى جسم من المعادن أو غيرها ، تحدث بها خاصية ربطت فى مجارى العادات ، ولابد مع ذلك من نفس صالحة لهذه الأعمال ؛ فإن بعض النفوس لا تجرى الخاصة المذكورة على يده .

(١) قد تقدم الحديث فى شأنها فراجعه .

ومنها نوع يسمى بالعزائم : وهم يزعمون أن لكل نوع من الملائكة أسماء أمروا بتعظيمها ، ومتى أقسم عليهم بها أطاعوا وأجابواوفعلوا ما طلب منهم ، اهـ .

ولا يخفى ما فى هذا الزعم من الفساد .

ومنها نوع يسمونه الاستخدام لكواكب والجن : وأهل الاستخدامات يزعمون أن للكواكب إدركات روحانية ، فإذا قوبلت الكواكب ببخور خاص ولباس خاص على الذى يباشر البخور ، وكانت روحانية فلك الكواكب مطيعة له ، متى ما أراد شيئا فعلته له على زعمهم ، لحنهم الله تعالى .

وهذا النوع من سحر الكلدانيين المتقدم .

وكذلك ملوك الجان يزعمون أنهم إذا عملوا لهم أشياء خاصة بكل ملك من ملوكهم أطاعوا وفعلوا لهم ما أرادوا ، قال : وشروط هذه الأمور مستوعبة فى كتبهم . وذكر رحمه الله من علوم الشر أنواعا كثيرة : كالخط ، والأشكال ، والموالد ، والقرعة ، والفأل ، وعلم الكتف ، والموسيقى ، والرعدى ، والكهانة ، وغير ذلك .

على النبى صلى الله عليه وسلم ، مع عظيم مقامه ، وصدق توجهه ، وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذى ذكره محمول على الغالب ، وإنما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك ، والله اعلم . انتهى من فتح البارى .

المسألة التاسعة :

اعلم : ان العلماء اختلفوا فى تحقيق القدر الذى يمكن أن يبلغه تأثير السحر لمسحور ، واعلم أن لهذه المسألة واسطة وطرفين : طرف لا خلاف فى أن تأثير السحر يبلغه كالتفريق بين الرجل وامرأته ، وكالمرض الذى يصيب المسحور من السحر ونحو ذلك ودليل ذلك القرآن والسنة الصحيحة .

أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ ، فصرح جلا وعلا فى هذه الآية الكريمة بأن من تأثير السحر التفريق بين المرء وزوجه .

وأما السنة فما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها بألفاظ متعددة متقاربة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء

ولا يأتيهن ؛ فقال : « يا عائشة ، أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه ، أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم رجل من بنى زريق حليف اليهود كان منافقا ، قال : وفيم ؟ قال : فى مشط ومشاطة ، قال : وأين ؟ قال : فى جف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذروان » ، قالت : فأتى النبى صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه ، فقال : « هذه البئر التى أريتها » وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين ، فاستخرج . قالت : فقلت : أفلا أى تنشرت ؟ فقال : أما الله فقد شفانى وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً »[1] اهـ .

هذا لفظ البخارى فى بعض رواياته لهذا الحديث ، والقصة مشهورة صحيحة . ففى هذا الحديث الصحيح أن تأثير السحر فيه صلى الله عليه وسلم سبب له المرض ، بدليل قوله : « أما الله فقد شفانى » ، وفى بعض الروايات الثابتة فى صحيح

(١) سبق تخريجه .

البخارى وغيره بلفظ : « فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب » ؛ أى : مسحور . وهو تصريح بأن السحر سبب له وجع . ونفى بعض الناس لهذه القصة مستدلاً بأنها لا تجوز فى حقه صلى اللّه عليه وسلم ، لقوله تعالى عن الكفار منكرا عليهم : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] ساقط ؛ لأن الروايات الصحيحة الثابتة لا يمكن ردها بمثل هذا الدعاوى ، وسترى فى آخر البحث هذه المسألة إن شاء اللّه تعالى إيضاح وجه ذلك .

وطرف لا خلاف فى أن تأثير السحر لا يمكن أن يبلغه ؛ كإحياء الموتى ، وفلق لبحر ونحو ذلك .

قال القرطبى فى تفسيره : أجمع المسلمون على أنه ليس فى السحر ما يفعل اللّه عنده إنزال الجراد والقمل والضفادع ، وفلق البحر ، وقلب العصا ، وإحياء الموتى ، وإنطاق العجماء ، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون لا يفعله اللّه عند إرادة الساحر .

قال القاضى أبو بكر بن الطيب : وإنما منعنا ذلك بالإجماع ولولاه لأجزناه ، انتهى كلام القرطبى .

وأما الواسطة فهى محل خلاف بين العلماء ، وهى هل يجوز أن ينقلب بالسحر الإنسان حماراً مثلاً ، والحمار إنساناً ؟ وهل يصح أن يطير الساحر فى الهواء ، وأن يستدق جسمه أسمع حتى يدخل من كوه ضيقة . وينتصب على رأس قصبة ، ويجرى على خيط مستدق ، ويمشى على الماء ، ويركب الكلب ونحو ذلك . فبعض الناس يجيز هذا . وجزم بجوازه الفخر الرازى فى تفسيره ، وكذلك صاحب رشد الغافل وغيرهما . وبعضهم يمنع مثل هذا .

قال مقيده – عفا اللّه عنه وغفر له – : أما بالنسبة إلى أن اللّه قادر على أن يفعل جميع ذلك ، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب والمسبب ، كما قدمناه مستوفى فى سورة مريم ، فلا مانع من ذلك ، واللّه جل وعلا يقول : ﴿ وَمَا هُم

بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل فلم يقم عليه دليل مقنع ؛ لأن غالب ما يستدل عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول ، ويجوز أن يكون ما وقع منها من جنس الشعوذة والأخذ بالعيون ، لا قلب الحقيقة مثلا إلى حقيقة أخرى ، وهذا هو الأظهر عندى ، والله تعالى أعلم .

○○○

تنبيه

اعلم أن ما وقع من تأثير السحر فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستلزم نقصا ولا محالاً شرعياً حتى ترد بذلك الروايات الصحيحة ؛ لأنه من نوع الأعراض البشرية ، كالأمراض المؤثرة فى الأجسام ، ولم يؤثر البتة فيما يتعلق بالتبليغ . واستدلال من منع ذلك زاعما أنه محال فى حقه صلى الله عليه وسلم بآية : ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ ، مردود كما سنوضحه إن شاء الله تعالى فى آخر هذا البحث . قال ابن حجر فى الفتح : قال المازرى : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا انه يحط بمنصب النبوة ويشكك فيها . قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فيها باطل . وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ، ثم وأنه يوحى إليه بشىء ولم يوح إليه شىء .

قال المازرى : وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبى صلى اللّٰه عليه وسلم فيما يبلغه عن اللّٰه تعالى . وعلى عصمته فى التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه ؛ فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل .

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها ، فهو فى ذلك عرضه لما يعترى البشر كالأمراض ، فغير بعيد أن يخيل اللّٰه فى أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك فى أمور الدين .

قال : وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث : أنه كان صلى اللّٰه عليه وسلم يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطئهن وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان فى المنام ؛ فلا يبعد أن يخيل إليه فى اليقظة .

قلت : وهذا قد ورد صريحا فى رواية ابن عيينة فى الباب الذى يلى هذا ، ولفظة : حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، وفى رواية الحميدى : أنه يأتى أهله ولا يأتيهم ، قال الداودى : يرى ، بضم أوله أى : يظن . وقال ابن التين :

ضبطت يرى ، بفتح أوله ، قلت : وهو من الرأى لا من الرؤية ، فيرجع إلى معنى الظن . وفى مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق : سحر النبى صلى اللّٰه عليه وسلم عن عائشة ، حتى أنكر بصره . وعنده فى مرسل سعيد بن المسيب : حتى كاد ينكر بصره .

قال عياض فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه ، لا على تمييزه ومعتقده .

قلت : ووقع فى مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد : فقالت أخت لبيد بن الأعصم : إن يكن نبيا فسيخبر ، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله .

قلت : فوقع الشق الأول ، كما فى هذا الحديث الصحيح . وقد قال بعض العلماء : لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشىء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت ، فلا يبقى على هذا للملحد حجة .

وقال عياض : يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سبق عادته من الاقتداء على الوطء ، فإذا دنا من المرأة فتر من ذلك كما هو شأن المعقود ، ويكون قوله فى الرواية الأخرى : حتى كاد ينكر بصره ، أى : صار كالذى أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل إليه أنه على غير صفته ؛ فإذا تأمله عرف حقيقته .

ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه صلى اللّٰه عليه وسلم فى خبر الأخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به .

وقال المهلب : صون النبى صلى اللّٰه عليه وسلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده ، فقد مضى فى الصحيح : أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته ، فأمكنه اللّٰه منه (١) .

فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض : من ضعف عن الكلام ، أو عجز عن بعض الفعل ،

(١) رواه البخارى [٤٥٣٠] ومسلم [٣٩/٥٤١] .

أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول ، ويبطل اللّٰه كيد الشياطين .

واستدل ابن القصار على أن الذى أصابه كان من جنس المرض ، بقوله فى آخر الحديث : « أما أنا فقد شفانى اللّٰه » ، وفى الاستدلال به نظر لكن يؤيد المدعى أن فى رواية عمرة عن عائشة عند البيهقى فى الدلائل : فكان يدور ولا يدرى ما وجعه ، وفى حديث ابن عباس عند ابن سعد : مرض النبى صلى اللّٰه عليه وسلم ، وأخذ عن النساء والطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان .. الحديث انتهى من فتح البارى . وعلى كل حال فالنبى صلى اللّٰه عليه وسلم معصوم بالإجماع من كل ما يخل بالتبليغ والتشريع . وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية ، كأنواع الأمراض والآلام ، ونحو ذلك فالأنبياء صلوات اللّٰه وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعترى البشر لأنهم بشر كما قال اللّٰه تعالى عنهم : ﴿ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [إبراهيم : ١١] ونحو ذلك من الآيات .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٧] فمعناه أنهم يزعمون أنه صلى الله عليه وسلم مسحور أو مطبوب ، قد خبله السحر فاختلط عقله فالتبس عليه أمره . يقولون ذلك لينفروا الناس عنه . وقال مجاهد : ﴿ مَّسْحُورًا ﴾ ، أى : مخدوعاً مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٩] ، أى : من أين تخدعون . ومعنى هذا راجع إلى ما قبله لأن المخدوع مغلوب فى عقله . وقال أبو عبيدة ﴿ مَّسْحُورًا ﴾ معناه أن له سحرا ، أى : رئة فهو لا يستغنى عن الطعام والشراب ، فهو مثلكم وليس بملك كقولهم : ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧] ، وقوله عن الكفار ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المؤمنون] ونحو ذلك من الآيات : ويقال لكل من أكل أو شرب من آدمى أو غيره : مسحور وسحر ومنه قول لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا   عصافير من هذه الأنام المسحر

وقال امرؤ القيس :

أرانا موضعين لأمر غيب   وتسحر بالطعام وبالشراب

أى : نغذى ونعلل . وإذا علمت أن أقوال العلماء فى قوله تعالى : ﴿ مَّسْحُورًا ﴾ ، راجعة إلى دعواهم اختلال عقله بالسحر أو الخديعة ، أو كونه بشرا ، عمت أنه لا دليل فى الآية على منع بعض التأثيرات العرضية التى لا تعلق لها بالتبليغ والتشريع كما ترى ، والعلم عند الله تعالى . وقد أشرنا فيما تقدم لحكم ساحر أهل الذمة ، واختلاف العلماء فى قتله ، واستدلال من قال بأنه لا يقتل بعدم قتله صلى الله عليه وسلم لبيد بن الأعصم الذى سحره .

والقول بأنه قتله ضعيف ، ولم يثبت أنه قتله . وأظهر الأقوال عندنا أنه لا يكون أشد حرمة من ساحر المسلمين ، بل يقتل كما يقتل ساحر المسلمين . وأما عدم قتله صلى الله عليه وسلم لابن الأعصم فقد بينت الروايات الصحيحة أنه ترك قتله اتقاء إثارة فتنة ، فدل على أنه لولا ذلك لقتله . وقد ترك المنافقين

لئلا يقول لناس محمد يقتل أصحابه فيكون فى ذلك تنفير عن دين الإسلام مع اتفاق العلماء على قتل الزنديق وهو عبارة عن المنافق ، والله تعالى أعلم (١) .

○○○

(١) أضواء البيان [جزء : ٤ /ص : ٣٨ : ٦٢] .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

ooo